الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

افتتاحية

من أجل عملية انتخابية ديمقراطية وذات مصداقية

بقلم : د. زهير بن يوسف

العدد 421 - من الثلاثاء 3 إلى الاثنين 9 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

زلزال مؤسّساتي:

حين تتجاوز هيئة الانتخابات أعلى هيئة قضاء إدارية

بقلم : صالح مصباح

هل يجوز لرئيس الجمهورية تغيير الحكومة في الفترة الانتخابية ؟

بقلم : عبد السلام الككلي

من المسكوت عنه في التاريخ التونسي :

«دار جواد» نبش في ذاكرة معاناة المرأة التونسيّة

بقلم : منصف سلطاني

العياشي زمال المترشح للانتخابات الرئاسية في أول حوار منذ اعلان الترشح:

استعددت لسيناريو الإيقاف وهكذا ستدار الحملة إن كنت في السجن

من أجل عملية انتخابية ديمقراطية وذات مصداقية

بقلم : د. زهير بن يوسف (جامعة تونس)

«إنّ إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة، وتعبّر عن هذه الإرادة انتخابات نزيهة دورية، تجري،،، على قدم المساواة بين الجميع أو حسب أي إجراء مماثل يضمن حرّية التصويت».

• الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، المادة 21، فصل 3

أفرزت الممارسة الديمقراطية في العالم المتحضّر وفي عدد من دول العالم النامي ومنها دول أمريكا اللاتينية وبعض دول المنطقة العربية ولاسيما بعد ثورات الربيع العربي نوعا من الاتفاق الإقليمي والدولي العام حول طبيعة المعايير التي لا بدّ من توفّرها لاعتبار الانتخابات، أيّة انتخابات، مهما كانت درجتها، رئاسية كانت أو برلمانية أو غيرها، حرّة ونزيهة.

وهذه المعايير، لأهميتها في الممارسة الانتخابية بل وفي المسار الانتخابي برمّته، وتوقف صورة الانتخابات وبالتالي شفافيتها ومن ثمة شرعيتها والآليات الداخلية والخارجية المتحكمة فيها، وقع تضمينها طيّ العديد من المراجع القانونية الدولية والإقليمية والوطنية على حد سواء، حيث تمّ التنصيص عليها مثلا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان(1948)، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية(1966)، والميثاق العربي لحقوق الإنسان(2004)، والميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب(1981) وإعلان الاتحاد الإفريقي بشان مبادئ الانتخابات الديمقراطية في إفريقيا(2002) والميثاق الإفريقي للديمقراطية والحكم والانتخابات (2007)، كما تمّ التنصيص عليها بالاستتباع في دستور الجمهورية التونسية المختوم بقصر باردو في 27 جانفي 2014، و»دستور الجمهورية الثالثة» الذي تمّ اعتماده في تونس يوم 25 جويلية 2022، كما تضمنته مشاريع الدستور التي قامت بإعدادها جمعيات المجتمع المدني التونسي ومنظماته وفي طليعتها الاتحاد العام التونسي للشغل والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان وشبكة دستورنا عقب انتصار ثورة الحرية والكرامة والإطاحة بمنظومة الاستبداد والحكم الرئاسوي الفردي.

معايير الانتخابات الحرّة والنزيهة إذن هي المبادئ الأساسية التي تتوقف على توفّرها مصداقية العملية الانتخابيّة من زيفها، والقطب الذي تدور عليه رحى هذه المعايير هو:

* أن تكون هذه الانتخابات طبقا للقانون، دونما تلاعب أو تأويل أو تطويع، وأن تتمّ هذه الانتخابات في إطار من الشفافية والانفتاح والمساءلة،

* وأن تقوم بالأخصّ على مبدأ المنافسة النزيهة التي تمنح فيها لكل المترشحين لها كل الحقوق وكل الضمانات، على قدم المساواة،ودون تفاضل أو تمييز أو محاباة، وأن يكون التنافس بينهم عادلا وأن يُؤمّن لهم هذه المنافسة تكافؤ الوصول إلى الموارد العامّة دونما استئثار من قبل البعض واختصاص واحتكار،

* وأن تخضع هذه الانتخابات للمراقبة الإقليمية والدولية فضلا عن المراقبة الوطنية من المراصد المختصّة دونما عراقيل أو تعطيل ودونما إلحاق أو إخضاع أو تطويع أو تحجيم أو تجميد كما هو الحال تمثيلا لا حصرا بالنسبة إلى الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي والبصري التي تمّ عمليا تحييدها عن ممارسة دورها الرقابي لوسائل الإعلام وللحملات الانتخابية.

إنّ الناظر في حالة عضوية تونس في المنظمات الدولية والإقليمية وفي وضعها إزاء المصادقة على المعاهدات الدولية والإقليمية التي تنجرّ عنها التزامات ليست فقط أخلاقية وسياسية وبالتالي رمزية وإنّما التزامات موجبة قانونا للدولة، بقطع النظر عمّن يحكمها،بشأن الانتخابات، يلاحظ أن الدولة التونسية وقّعت وصادقت على جميع الإعلانات والعهود والمواثيق والاتفاقيات ذات الصلة بالانتخابات، وعندما توقّع دولة ما على اتفاقية ما كالاتفاقية الدولية لمناهضة جميع أشكال التمييز ضد المرأة أو الاتفاقية الدولية لمناهضة التعذيب أو معاهدة ما كالعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والعهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ويصادق عليها برلمانها فإنّ ذلك يعني بالنتيجة بل وبالضرورة أنها صارت ملزمة قانونيا بضمان الامتثال للمعايير الضرورية للانتخابات المنصوص عليها في المراجع القانونية الإقليمية والدولية المشار إليها، قابلة بأن تكون مساءلة عنها أمام المجتمع الدولي.

واستعمال المعايير الدولية كنقاط مرجعيّة للانتخابات يخضع لمرجعيّات أدناها:

- حقّ الترشح، وهو حق ينبغي أن يكون مختصا بكافة ما يتيحه القانون الانتخابي من ضمانات، حقّ ينبغي أن يكون دون أيّة تقييدات، غير تلك التي تكون قائمة على حيثيات موضوعية، معقولة ومقبولة، وبالتالي قانونية، ودون إخضاع لأي شكل من أشكال التحيّز أو التمييز، دونا عن تلك الشروط الإضافية التي جاءت بها النصوص والتراتيب التي تلت صدور الدستور الحالي للبلاد لتحدّ من حرية الترشح.

- الحق في اللجوء الفعّال إلى القانون، بمعنى حق كل مترشح تنتهك حقوقه أو حرّيته أو هما معا، حتى متى صدر انتهاك القانون عن هيئات تغادر مبدأ الحياد أو تنزاح عن مبدأ الاستقلالية أو عن أشخاص يتصرّفون بصفتهم الرسمية في تجاوز صريح للسلم التراتبي للقواعد القانونية، على أن تبتّ في تلك التجاوزات أو الانتهاكات السلطة المختصّة التي ينصّ عليها نظام الدولة القانوني وأن تضمن إمكانات ذلك التظلم القانوني، ولنا في تونس القرارات الجريئة التي أصدرتها المحكمة الإدارية مؤخرا، وهي المحكمة المعروفة برأس مال رمزي من الصرامة والاستقلالية لا يمكن أن يزايد عليه أي كان، أو يجرّح فيه، وللقضاء الإداري وحده صلاحية النظر في نزاعات الترشح للانتخابات، وليس من صلاحية أية هيئة من الهيئات الدستورية المستقلة ومنها هيئة الانتخابات التي تنحصر مهامها في إدارة الانتخابات والإشراف عليها في جميع مراحلها وان تضمن سلامة المسار الانتخابي ونزاهته وشفافيته لا غير، القضاء الإداري هو وحده المختص بالنظر في تجاوز الإدارة لسلطتها وفي النزاعات الإدارية، ومرجع النظر لديه معلوم ليس منه أيّة هيئة دستورية.

وحيث أنّ بلادنا مقبلة مبدئيا يوم 6 أكتوبر القادم على استحقاق انتخابي جديد هو الانتخابات الرئاسية، وهو الموعد الانتخابي الثالث بعد الثورة والثاني عشر منذ الاستقلال، موعد من المرتقب أن ينتخب فيه التونسيون والتونسيات رئيس الجمهورية الثامن في تاريخ البلاد، يهمنا أن يكون مسار هذه الانتخابات مسارا انتخابيا مشرّفا يحترم دولة القانون والمؤسسات والعدل، ويحترم بخاصة علويّة القانون ويحترم مؤسسات الجمهورية ويعمل على تفعيل مهامها، مسارا انتخابيا يؤسس لانتخابات نزيهة وشفافة، وليس بإمكان ذلك أن يكون كذلك دون حياد الإدارة، ودون حياد الهيئة العليا المستقلة للانتخابات ودون رفع التضييقات عن الهيئة الوطنية العليا للاتصال السمعي والبصري ودون احترام ممارسة القضاء لرقابته القانونية على الانتخابات وعلى المسار الانتخابي برمته دون وصاية أو إكراهات، ودون إطلاق الحريات الفردية والعامة وتنقية المناخ السياسي والاجتماعي بالبلاد، فدون هذه الضمانات لا مصداقيّة ولا شفافية ولا نزاهة لأيّة انتخابات، إن هو إلا وضع صعب تمرّ به بلادنا إلاّ أنّه مفصليّ وفارق، وعلى جميع الفئات والشرائح العمرية المعنية بالعملية الانتخابية ولاسيما منها الفئات الشبابية أن يكون لها دور فاعل فيها لتحقيق مواطنته وممارستها ويدافع عن انتظاراته.

زلزال مؤسّساتي:

حين تتجاوز هيئة الانتخابات أعلى هيئة قضاء إدارية

صالح مصباح

سيكون يوم الاثنين الموافق للثاني من سبتمبر 2024 يوما زلزلت فيه تونس زلزالها. فقد طعن مترشحون لدى المحكمة الإدارية في قرار هيئة الانتخابات الرافض لترشحهم بناء على موانع رأتها الهيئة حرية بمنعهم. وفي الطور الأول من الطعن، أقرت المحكمة الإدارية قرار الهيئة. لكن أصحاب الملفات المرفوضة، جددوا الطعن على قرار الهيئة لدى الجلسة العامة للمحكمة الإدارية التي انعقدت للنظر في الطعون بتركيبة من تسعة وعشرين قاضيا وقاضية.

نفضت الجلسةُ العامةُ قرارَ الهيئة وحُكمَ الطور الأول من القضاء الإداري. وقضت بإعادة الثالوث الزنايدي والدايمي والمكي إلى السباق الرئاسي. وإن هذا الحكم بات وملزم .

لكن هيئة الانتخابات أبت إلا أن تتصرف بمنطق لا حكم فوق حكمي. ذلك أن ناطقها الرسمي أثنى على المحكمة الإدارية بمناسبة الحكم الصادر عنها في الطور الأول، وقال إن حكمها بات نهائي. والأكيد أن وراء هذا القول اطمئنانا إلى أن حُكم الجلسة العامة لن يخالف حكم الطور الأول. لكن الناطق الرسمي نفسه، والرئيس بوعسكر، بادرا إثر صدور حكم الجلسة العامة الذي لم ينتظراه، إلى التلويح بالتمرد عليه المبني على أسس لم يسايرهما فيها أهلُ مكة والمدينة، على اختلاف مشاربهم الفكرية، لأن الموضوع من شأن المعرفة الاختصاصية المحضة.

وتأكد اليوم ذلك التلويح، وضربت الهيئة عرض الحائط بأحكام الجلسة العامة، واكتفت بالثالوث سعيد والزمال والغزاوي الذين سبق لها أن قبلت ترشحهم، ورفضت أن تضيف إلى قائمة الترشحات من قضت بإضافتهم الجلسة العامة للمحكمة الإدارية.

إن هذا التمرد هو زلزال مدوّ. هو إصرار الهيئة على أن تقبل ترشحَ مَن اختارهم على الأرجح مرشحُ السلطة. فهو الذي يختار من ينافسه منافسة يعدو فيها بمفرده فعليا، حتى أن الزمال المقبول من الهيئة، قد تهيأت له خيوط الفخ على الأرجح. وأقامت الهيئة تمردها ذاك على أسس واهية واهنة، متجاهلة أنها هيئة تدير العملية الانتخابية إدارة ترتيبية، وأنها تبعا لذلك جهة إدارية تخضع عند الاقتضاء للقضاء الإداري البات. وليس تستقيم الفصول وأسانيد والادعاءات الواة على لسان بوعسكر، وإن أفاض فيها لتعليل تمرد هيئته. فهي فصول وادعاءات نسخت حجيتَها أراءُ أهل القانون وردّها على الهيئة نفسها الناطقُ باسم القضاء الإداري.

إن المحكمة الإدارية هي اليوم أهم قلاع القانون والدولة المؤسسية، أو ربما هي آخرها. وإن استخفاف هيئة الانتخابات بأحكام تلك القلعة العريقة هو استخفاف بأسس العقد الذي تقوم عليه الدولة التونسية، وطعن في قلب نظامنا المؤسسي والقضائي الذي أصابه في السنوات الأخيرة وهن وهوان. ولعل هذا التمرد الراهن قد تأثر خطى تمرد سابق حين قضت المحكم الإدارية بإعادة قضاة معزولين، وحين رفضت الجهة الرسمية تنفيذ الحكم. لكن سياق الحال أفدح من سابقه، لأن المدار هو على أعلى منصب في الدولة، وعلى حكم أعلى هيئة قضائية في النظام القضائي التونسي، وعلى شأن يهم الكافة من المواطنين ومن الهياكل والمؤسسات.

وما يتأكد بهذا التمرد الذي أقدمت عليه اليوم الهيئة، هو أنها لا ترى نفسها جهة تحكيم، وإنما جهة مدمجة في أجهزة السلطة. فقد تخلت عن كونها من الدولة لتستقر في السلطة وأجهزة الحكم. إنها اليوم هيئة توصيل لمرشح السلطة إلى الرئاسة وليست جهة تحكيم للمنافسة الانتخابية. وبهذا الانحياز، مَن سيثق في هذه الهيئة الانتخابية؟ ومن سيعترف بالنتائج التي ستعلنها والتي هي اليوم معلومة سلفا؟ وهل سيجد المواطن الراسخةُ فيه روحُ القانون اندفاعا لديه إلى الإدلاء بصوته إدلاءً يعلم أنه ذاهب إلى من اختار؟ وهل انفتح للمواطن أن يختار من يريد أن يختار ؟!و هل ستبقى لديه ثقة في الانتخابات أصلا؟ وكيف سينظر إلى أجهزة السلطة الرسمية بعد أن عاين أنها قد تعبث شأن وطني في مثل هذه المنزلة.؟! فهو شأن يتعلق بمنصب الرئاسة والقيادة الأعلى للقوات المسلحة؟!. ولعل صفوة هذه الأسئلة هو عل ما سيجري يوم 6 أكتوبر القادم، إن جرى، سيكون انتخابات أو ذبحا للانتخابات وجنازة لها ونحيبا على قبرها؟

إن الذي يظهر اليوم جليا أن الانتخابات القادمة ستكون على الأغلب إغارة على المنصب وسطوا عليه مقنّعين بلثامَين شافّين. هذا ما سيدركه على الأرجح كل مواطن ذي نظر. ولكن من الأكيد أن يراه كذلك أولئك الذين صادرت هيئة بوعسكر حقهم في الترشح الذي أقرته لهم الجلسة العامة للمحكمة الإدارية. وبقدر ما سيذهب هذا الذي يجري بهيبة القضاء الإداري، بعد أن ذهب الكثير من هيبة القضاء العدلي، فإن له تبعات خطيرة، أهمها أن الممنوعين من الترشح سيجدون الأسباب التي بها يطعنون على نتائج الانتخابات، وعلى استقامتها قانونا، وقد يتوجّهون ألى القضاء العدلي برفع الدعوى على مَن رفض الامتثال لقرار مَن له القرار. وفي حال الحكم لهم، أو في حال مجرد تحريك القضية، هل سيكون المنتخب منتخبا بصفة شرعية؟ هل بقي لهيئة بو عسكر وجه تزكّي به فوز الفائز،؟ واي معنى لفوز الفائز بهذا التحذلق الإداري والسياسي والقانوني وبهذا الاصرار على الإقصاء وهذا الخوف من المنافسة؟ هل سيحكم بشرعية بلا شوائب؟!. وإلى أي حد ستواصل الأجهزة الصلبة في الدولة تنفيذ ما يأمر به؟ أليست هذه الأجهزة من الشعب ومن الدولة؟ ألا يخث هذا الذي يجري، بصفة مباشرة أو غير مباشرة، على احتمال أن تتصادم أجهزة الدولة؟!

لا بد من غلق هذا القوس قبل فوات الأوان، إذا بقي في الدولة عقل يفكر ويستبصر وبستبق. ولعل المسؤولية الأولى في ذلك هي مسؤولية رأس السلطة نفسه. لا بد من إعادة الترتيب لأوراق اللعبة قبل أن يضيع عقد البلاد فتذهبَ ريحُها.

العياشي زمال المترشح للانتخابات الرئاسية في أول حوار منذ اعلان الترشح :

استعددت لسيناريو الإيقاف وهكذا ستدار الحملة إن كنت في السجن

حاورته : كوثر زنطور

تم فجر يوم امس الاثنين إيقاف المترشح للانتخابات الرئاسية العياشي زمال لمدة يومين. إيقاف كان ضمن السيناريوهات المحتملة حسب ما أكد زمال في حواره مع "الشارع المغاربي"، وهو الأول بصفته مترشحا في السباق الرئاسي، وأكد انه تم الاستعداد لها. العياشي بن عبد الحميد زمال يتحدث في الحوار عن عرضه السياسي، وعن مشروعه الانتخابي، ويرد أيضا على الانتقادات الموجهة اليه.

كيف تسير التحضيرات للحملة الانتخابية بعد حديثك عن تضييقات قلت انها تلاحقك منذ فترة؟

انطلقت في العمل بصمت بعيدا عن البروبغندا و"الشو" خاصة خلال فترة تجميع التزكيات التي حرصنا على ان تتم بهدوء ودون شوشرة مع عديد المتطوعين الذين اشكرهم كثيرا بالمناسبة على مجهوداتهم وتعرضنا اثناء تجميع التزكيات للتضييقات التي شملت المتطوعين لكننا فضلنا تجاوز ذلك بهدوء وبعد فترة الطعون نشرت فيديو توجهت من خلاله للتونسيين وقدمت رؤيتي وعرفت بنفسي لأنني من السياسيين الجدد غير المعروفين وكان هناك تجاوب كبير جدا من طرف التونسيين اذ كنت بالنسبة اليهم مفاجأة سارة وكان التفاعل إيجابيا.

نعلم انه وجهت لك الدعوة ضمن أبحاث وتتبعات تتعلق بالتزكيات الشعبية بما يفتح إمكانية الإيقاف التي أصبحت متواترة. هل درست هذا السيناريو ؟

أريد أن أذكر بداية بأنني مرشح نهائي وبصفة باتة للانتخابات الرئاسية القادمة بما يعني ان اسمي وصورتي سبكونان ضمن القائمة النهائية للمترشحين في استحقاق 6 أكتوبر القادم وهذا امر غير قابل للطعن وللتراجع عنه وأقر به رئيس الهيئة. بالنسبة الى إمكانية الإيقاف فهي واردة بالنظر الى حالة العبث التي نعيشها اليوم .. لا استغرب شيئا.. لذلك استعددنا الى سيناريو الإيقاف الذي يمثل بالنسبة لنا السيناريو الأقصى وفي هذه الحالة ستتواصل الحملة وفريقي سيقوم بالواجب وينشر البرنامج وسيكون موجودا في المنابر الإعلامية وفي وسائل التواصل الاجتماعي... انا قمت بالواجب... وسيقرر الناخب التونسي إما البقاء في الماضي وفي اقتصاد الريع والامتيازات وفي مناخ الصراعات المفتعلة وحملات بين الفساد وضد الفساد التي أوقفت الدولة أو اختيار المستقبل ومناخ تهدئة ومؤسسات سياسية حقيقية تكون قادرة على انهاء جدل تواصل 70 سنة.

العديدون يوم الإعلان عن قبول ملف ترشحك وانطلق معها السؤال عمن يكون هذا المترشح المغمور.. هناك من يصفك برجل الاعمال القادم من منظومة "الفساد" ومن يقول انك "كومبارس" اختارته السلطة وآخرون يرونك غواصة للنهضة.. كيف ترد على هذه التصنيفات ؟

كيف يتعرض "كومبارس" السلطة لهذه التتبعات؟ كيفاش؟ كل يوم نبحث؟ لمن قال العياشي غواصة النهضة أردّ بأن للنهضة اليوم مرشحا ولمن يقول انا مرشح منظومة ما قبل 25 جويلية أقول لم أكن يوما في أي منصب او في هياكل اي حزب.. نعم عديد الأسئلة من هذا القبيل.. قد يكون سبب هذه التعاليق والتساؤلات عدم وجود أية تهمة لالصاقها بي.. انا مواطن تونسي دخلت السياسة في اواخر سنة 2019 من باب حزب «تحيا تونس» لانه الحزب الوحيد آنذاك الذي اعتبرت انه الأقرب لي لأنني أؤمن بالمؤسسات ولأنني أؤمن بأن السياسي لا يمكن أن يكون مستقلا وباعتباري اؤمن أيضا بدور الأحزاب انخرطت في حزب وترشحت للانتخابات التشريعية 2019 كممثل للشعب عن ولاية سليانة... بعد 4 او 5 اشهر من دخولي البرلمان قمت بمراجعات ولم أعد أرى انني مرتاح في حزب "تحيا تونس" وكتلته.. لم اكن لا من المؤسسين ولا من أعضاء المكتب التنفيذي.. استقلت.. وفي حياتي أما أن انجح أو اتعلم وفي "تحيا تونس" تعلمت.. لم تعد لي أية اتصالات بهذا الحزب او بقياداته اطلاقا... وببساطة ووضوح انا لم اكن يوما في أي مكتب تنفيذي لأي حزب كان ولم أشارك ابدا في أية حكومة ولم أنتم يوما الى نداء تونس.. ترشحت في انتخابات 2019 ثم ترأست لجنة الصحة في البرلمان عندما رفض الجميع رئاستها.

ربما لان لك حاجة او مصلحة ان صح التعبير صلب اللجنة ومع وزارة الصحة لشركاتك ومشاريعك ؟

ليست لي أية علاقة مصلحة بأي شكل كان لا بوزارة الصحة ولا بأية جهة كانت وكنت قد أصدرت بيانا كذبت فيه جملة وتفصيلا كل ما جاء في تقرير لمنظمة "أنا يقظ" وطلبت منهم تقديم دليل واحد عما ذكروا بشأني.. لست مُصنّع ادوية ولا ابيع للمستشفيات العمومية ولست معنيا بالصفقات العمومية.

كيف سيكون الامر ان فزت في الانتخابات مثلا في علاقة بمشاريعك حتى لا تكون هناك شبهات تضارب مصالح ؟

سنة 2019 أصبحت عضوا في مجلس نواب الشعب ومنذ ذاك التاريخ لم تعد لي أية مهام في الشركات التي لي مساهمات فيها... بعد 25 جويلية قامت المنظومة الحالية بتدقيقات جبائية وفي الضمان الاجتماعي وطبعا هذا عادي وانا احترم القانون... نحن شركات عائلية صار فيها تدقيق والحمد لله نحترم القانون.

شعار الحملة "نقلبو الصفحة" وهو شعار مفتوح على كل التأويلات.. كيف يُقرأ في علاقة مع السلطة القائمة؟.. إن فزت في الانتخابات هل ستكون هناك مثلا مثلما يشير البعض محاسبات وغير ذلك؟

شعار "نقلبو الصفحة" في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي... في المجال السياسي إلّي غلط يتحاسب في قضاء مستقل وعادل.

ماذا عن المسجونين من سياسيين مثلا؟

لن يبقى اي مظلوم في السجن لا سياسي ولا صحافي ولا رجل أعمال ولا مواطن عادي ان فزت في الانتخابات الرئاسية.

كيف ستعرف المظلوم من غير المظلوم؟

عندي فريق قانوني سيطلع على الملفات.

ستنصّب قضاءك الخاص ؟

لا... لا... سأقوم بتوفير كل الآليات لارساء قضاء مستقل وعادل.. سلطة

حوار الأسبوع

- لست "كومبارس" السلطة ولا علاقة لي لا بمنظومة الشاهد ولا بالنهضة
- أتوقع فوزي منذ الدور الأول
- لن احكم بدستور 2022 وسأتوجه لالغائه او تعديله
- حل البرلمان ومجلس الجهات والاقاليم وكل ما جاء به مسار 25 جويلية
- الانتخابات غير محسومة بالمرّة
- انا مفاجاة سارة في انتخابات 2024
- سأغيّر الفكرة السائدة عن رجال الاعمال

قضائية مستقلة ثم سينظر الفريق القانوني في ملفات الموقوفين او المسجونين من صحفيين وسياسيين وغيرهم.. ما اتعهد به هو انه لن يبقى أي مظلوم يوما واحدا في السجن.

والمنظومة الحالية؟

هناك أخطاء سياسية سيحاسبون عليها بالصندوق واذا كانت هناك جرائم من قبيل الاستيلاء على المال العام او ارتكاب جرائم في حق التوانسة والدولة التونسية فالقضاء المستقل هو من سيقول كلمته.. سياسيا انا اريد قلب صفحة الصراعات السياسية والايديولوجية وعرضي السياسي هو التجميع للتوجه نحو المستقبل.

لن تكون ضمن استقطاب بين مع أو ضد بقاء منظومة 25 جويلية التي يبدو انها جوهر هذه الانتخابات ؟

لا ..لي مشروع وانا خارج الاستقطاب وضده... هذا من النظام البائد والثورة والثورة المضادة والإسلاميون والوطنيون واليسار واليمين انا متحرر من الايديولوجيا ومتخفف من الماضي.. أنا مرشح المستقبل ومرشح النجاح.

هل ستقيم الحملة بمراحلها.. يعني هل هناك إمكانية الدخول في نقاشات مع مترشحين أم انك ستواصل بنفس التصور؟

الانسحاب غير مطروح بالمرة.. سأقدم عرضي السياسي للتوانسة وإن حزت ثقتهم فمرحبا.. على الأقل كان لي شرف المحاولة.

ما هي الضمانات التي تطالب بها حتى تكون المنافسة على قدم المساواة؟

أولا ليس لنا اعلام عمومي بل اعلام حكومي وثانيا الواضح ان الفرص غير متساوية بين مختلف المترشحين واعتبر انني المترشح الوحيد الذي يتعرض للهرسلة تقريبا كل يوم... كل يوم "نبحث" حتى انني لم اعد في حملة انتخابية بل في حملة تحقيقية .. سبق ان دعوت الهيئة واجدد الدعوة لها لضمان الحياد وتساوي الفرص بين جميع المترشحين.. اليوم رئيس الجمهورية المنتهية ولايته يقوم بحملة بامكانات الدولة... تكلف رئاسة الجمهورية تقريبا 600 الف دينار يوميا من المال العام ومن غير المقبول توظيفها من قبل مترشح... ويكفي ان نقارن بين الزيارات الميدانية التي قام بها الرئيس في جويلية 2023 وفي جويلية 2024 وسترون الفرق.. من الممكن ان يقول رئيس الجمهورية انه لا يقوم بحملة انتخابية لكنه يقوم بحملة انتخابية واضحة وصريحة.. هذا غير متوفر لي انا شخصيا.. أجهزة الدولة، الإدارة والمؤسسة الأمنية والعسكرية وأيضا المؤسسة القضائية أثبتت في الانتخابات السابقة انها كانت على الحياد وأنجحت العملية الانتخابية ولم يكن هناك تشكيك وهذه مفخرة لها ولتونس ورسالة إيجابية للعالم.. اليوم أطالب بتنقية الأجواء للتوجه الى انتخابات نزيهة.

كيف تقيم أداء هيئة الانتخابات؟

الى حد الان لم نلاحظ تجاوزات كبيرة لكنها أيضا لم تتدخل عندما استعمل مترشح مقدرة وإمكانات واجهزة الدولة في حملته ومع ذلك نرجو ان تفرض الحياد في الحملة الانتخابية... انسبّق الخير ثم الحقيقة الوحيدة في الميدان.

كيف ترى حظوظك ؟

ارى ان لي حظوظا وافرة.

هل ستكون في الدور الثاني ؟

عندما كنا 3 مترشحين كنت اتوقع انني سأمرّ (سأفوز) من الدور الأول.

والآن ؟

هناك دور ثان مؤكد.

نشاهد بعض شعارات حملة المترشح قيس سعيد.. دور واحد موش اثنين.. الأمور غير محسومة بالنسبة اليك؟

لا الأمور غير محسومة بالمرة.. ونحن على الميدان وفي تواصل مع الناس... هناك فرصة جديدة... هناك احساس بالخنقة.. الشباب خاصة اليوم غير مهتم بالعملية السياسية بتاتا مع اهتراء المقدرة الشرائية.. الجميع يبحث عن حلول ومتنفس جديد... تقريبا جميع شرائح المجتمع تطالب بالتغيير هذا ما نلمسه على الميدان ويجب ان يتم التغيير بقيادة شخصيات مختلفة ولذلك قلنا "نقلبو الصفحة".. هناك منظومات جُربت واليوم هناك شخص اسمه العياشي زمال يريد تجاوز الخلافات وصراعات الماضي وله مشروع سياسي واقتصادي.

من هو منافسك المباشر ؟

الأستاذ قيس سعيد هو منافسي لكني في ذهني سأتوجه الى التوانسة الذين سيقررون بالصندوق ولست في منافسة... الانتخابات والديمقراطية أصبحتا من هوية التونسي.. سأقدم رؤيتي وأتعهد بتسخير كل طاقاتي وجهدي للتغيير نحو الافضل.. لنا كل المقومات لتحقيق ذلك على الرغم من الوضعية غير المسبوقة حسب الأرقام والمؤشرات.. 7 في المئة نسبة التضخم ونسبة بطالة الشباب تقريبا 40 في المئة مع التحديات الكبرى من أزمة الماء والهجرة والامن الغذائي والازمة المالية الخانقة والعزلة الدولية التي تعيشها تونس وانا أمثل فرصة تونس للتغيير.

هل ستحكم بدستور 2022 ؟

لا... قطعا لا.. انا شاركت في الاستفتاء وصوت بـ"لا"... اولا كان دستورا فرديا وتونس أكبر من ان يفرض عليها شخص بمفرده دستورا كتبه بنفسه ولنفسه وثانيا اؤمن بأن هناك ارضية لبناء ديمقراطية حقيقية في تونس.. ديمقراطية مؤسسات تراقب فيها المؤسسات بعضها البعض وقضاء مستقل وهذا غير موجود في الدستور الحالي.

هل ستعود الى دستور 2014 ؟

هناك اصلاحات سياسية ينبغي ان تنفذ.. اقترح على التونسيين لو منحوني ثقتهم وفي الـ 100 يوم الاولى فتح حوار حقيقي حول هذه الإصلاحات.

لا دستور 2014 ولا 2022 ؟

كل الاحتمالات مطروحة... يمكن ان نتوجه نحو دستور جديد.

اذا تحصلت على ثقة الناخبين ستكون الانطلاقة باعداد دستور جديد، كيف ستحكم البلاد خلال تلك الفترة.. بأحكام استثنائية؟ وهل ستعلن عن فترة انتقالية مثلا؟

عندي تصور كامل ولنا فريق قانوني ومع ذلك فانني متمسك بان تتم العملية في اطار تشاركي.. يعني أنني لا اريد أن افرض رأيي على المشهد السياسي.

ثقة الناخبين تمنحك شرعية تنفيذ برنامجك والمطلوب تقديم التصور والبرنامج للناخبين ضمن عرضك او مشروعك الانتخابي ؟

في صورة تحصلت على ثقة الناخبين سأتوجه نحو إرساء ديمقراطية تشاركية.. انا لا اريد فرض رايي حتى لو تحصلت على ثقة الناخبين.. الهدف هو المشاركة في صياغة تصور مشترك.. قد تكون هناك مرحلة انتقالية ستحدد بالتشاور مع الأطراف السياسية.. وشاهدنا نتيجة فرض شخص دستوره على التونسيين. انا لا اريد إعادة نفس الأخطاء.. التمشي التشاركي يهدف لضمان استقرار سياسي وتجاوز الخلافات والصراعات والنزاع القانوني والدستوري الذي كلف البلاد الكثير من الوقت والجهد لانني اؤمن بأن الاستقرار السياسي سيمكن من حل بقية المشاكل وتحديدا وبالذات الاجتماعية والاقتصادية منها.

لماذا انخرطت في السياسة ؟

انخرطت في السياسة بسبب العبث في البلاد... صراعات أيديولوجية وصراعات الثمانينات والسبعينات في الجامعة لازالت تقود البلاد وانا من منطلق عملي ومرجعيتي الاقتصادية باعتباري رجل اعمال ثابرت وتعبت ونجحت وكنت أرى ان هناك امكانات وفرص لتونس من الممكن تثمينها لكن شريطة تجاوز الصراعات.

تحدثت عن مرجعيتك الاقتصادية او صفاتك كرجل اعمال ورجال الاعمال كما تعلم لم تكن تجاربهم مع السياسة ناجحة ولها تقاطعات في الغالب بمنافع شخصية.. كيف ستغير هذه الصورة النمطية ؟

هناك مسألتان الأولى انني تمكنت من تحقيق طموحاتي الشخصية بالعمل ولم اتحصل على أي امتياز من الدولة.. وما حققته في عالم الاعمال من نجاح كان عن جدارة لانني في قطاع التصدير.. ولا يمكن ان تجد مكانا في هذا القطاع وعند الولوج الى الأسواق العالمية الا بجودة المنتوج وبتفانيك في العمل وثانيا أنا ضد استعمال المال السياسي وفي مسيرتي لم استعمل ابدا المال في السياسة وأتمنى ان أكون التجربة الأولى الناجحة التي تقطع مع الصورة النمطية عن رجال الاعمال او التجارب الفاشلة لرجال أعمال في علاقتهم بالسلطة وأريد الاشارة الى انه ليس من السهل ان تكون رجل اعمال فليس بإمكان أي شخص ان يكون رجل اعمال اذ يجب ان تتوفر فيك عديد الخصال منها القدرة على الاستشراف والقدرة على تكوين وتسيير فريق وأيضا القدرة على إدارة المخاطر وعلى اختيار الأفضل للعمل معك وان تكون لك القدرة على تأمين الرواتب وحقوق العاملين معك وفتح أسواق جديدة وان تتمتع خاصة بالشجاعة.

كنت في حزب علاقة رئيسه برجال الاعمال جدلية جدا حسب شهادات عن تلك الفترة ؟

يتحملون مسؤوليتهم وأنا استقلت من الحزب.. استقلت ولو كنت مرتاحا او موافقا على ما كان يحصل لبقيت فيه.

حوار الأسبوع

استقلت من الحزب بعد ان اصبح حزبا ضعيفا وبلا تاثير؟

لا لا لا... استقلت من الحزب عندما كانت له كتلة تتكون من 14 نائبا وكان ممثلا في حكومة الفخفاخ واستقلت لانه لا يمكن لي ان احقق "حلمتي" وطموحي لتونس إن استمررت في الحزب.

لو تحدثنا عن هذا الحلم او "الحلمة" ؟

من موقعي المهني فهمت ان للبلاد كل الإمكانات للنجاح والتطور واليوم اريد المساهمة في تغيير واقع تونس والتونسيين والسياسة هي آلية التغيير.

بالمرور مباشرة الى الانتخابات الرئاسية دون مراكمة التجارب السياسية هل ترى ان غياب التجربة سيعزز فرص الفشل ام النجاح ؟

لا.. ليس بالمرور مباشرة الى الانتخابات الرئاسية... ترشحت للتشريعية وكنت عضوا في البرلمان وكنت قبل ذلك متابعا دقيقا للشأن السياسي... لم انتم لاي حزب الا لتحيا تونس... البداية بالترشح للانتخابات ثم بعد 25 جويلية وقراراته المتتالية ومن بينها غلق البرلمان لم أرم المنديل ولم اسستسلم مثلما فعل اغلب السياسيين.. واصلت واستمررت في المشهد واسست حزبا معارضا وكنت من القلائل الذين كانوا ناشطين قبل 25 جويلية وحافظوا على وجودهم ونشاطهم لأن طموحي ليس لشخصي بل لبلادي.

طيب فلتحدثنا عن برنامجك الانتخابي لتحقيق التغيير مثلما اشرت ؟

على المستوى السياسي ساتوجه إما الى تنقيح الدستور الحالي او لصياغة دستور جديد.

من سيقوم بالصياغة؟ هل سيبقى البرلمان الحالي ؟

طيب انا أرى ان تونس تستحق دستورا جديدا لان بهذا الدستور عدة إشكالات وليس به توازن بين السلطات والصلاحيات الممنوحة لرئيس الجمهورية رئاساوية غير مسبوقة وبالنسبة لي لا أرى انه بالإمكان تحويل البرلمان الى وظيفة والقضاء الى وظيفة وأرى أن حرية الاعلام تقيدت بسبب التضييقات وسيكون أول قرار اتخذه هو الغاء المرسوم 54.. الاسلم هو التوجه نحو دستور جديد.. النظام السياسي الموجود اليوم فوضى.. نظام قاعدي وبرلمان وظيفة أصبحت مهمته الأساسية المصادقة على التمويلات الخارجية والقروض او تزكية رئيس الجمهورية.. هذا البرلمان لم يقدم الاضافة لتونس وهو برلمان صوري وبالتالي يجب ان تكون هناك عملية سياسية تلغي كل هذا المسار ونتوجه الى مسار حقيقي للوصول الى استقرار سياسي.

يعني ستقرر حل البرلمان وستدعو الى انتخابات سابقة لاوانها؟ وهل سيكون البرلمان القادم في قلب الإصلاحات السياسية ويساهم فيها او ستمر مباشرة الى الاستفتاء؟

طبعا ان كان هناك دستور جديد سيتم عرضه على الاستفتاء... كل الاحتمالات ستوضع على طاولة النقاش... انا اقترح حل هذا البرلمان ومعه مجلس الجهات والاقاليم... البناء القاعدي والدستور والبرلمان المنبثق عنه هي خيارات قيس سعيد ستنتهي بنهاية عهدته.

على المستوى الاقتصادي ؟

يجب توفير استقرار سياسي حقيقي لبناء اقتصاد قوي بما سيمكن من تحقيق تماسك وتضامن مجتمعي.

وانت رجل اعمال هل ستكون مع خيارات ليبرالية ؟

انا مع تحرير الاقتصاد.

ماذا يعني ذلك ؟

البداية بانهاء الريع واقتصاد الرخص والنظر في وضعيات المؤسسات العمومية.. يجب ان تكون تنافسية باستثناء المؤسسات الاستراتيجية مثل الستاغ والصوناد وأنا مع اصلاح المؤسسات الاستراتيجية والمحافظة عليها والبقية يجب مثلا ان تكون المؤسسات تنافسية.. إن كانت لها القدرة على المنافسة وتحقيق أرباح وجب دعمها وان كانت مؤسسات خاسرة يمكن التفويت فيها.

- سأعلن عن رئيس الحكومة وفريقي الاستشاري في بداية الحملة
- فريق قانوني سينظر في قضايا السياسيين والصحفيين ورجال الاعمال الموقوفين
- البناء القاعدي والدستور والبرلمان خيارات قيس سعيد وستنتهي بنهاية عهدته
- «الناس حاسّة بخنقة» وتطالب بالتغيير
- أمثّل فرصة تونس للتغيير
- أنا مرشح للمستقبل ومرشح للنجاح

ليست هناك خطوط حمراء في الإصلاحات ؟

لا... ليس هناك خطوط حمراء... الخط الأحمر الوحيد هو عدم المس من القدرة الشرائية للتونسيين وأتعهد بتحسينها وبأن يكون لنا اقتصاد حقيقي منتج للثروة.

ما هي القرارات العاجلة التي ستتخذها ان تحصلت على ثقة الناخبين ؟

أولا يجب إعادة البريق الى شركة فسفاط قفصة.. للاسف كانت هناك فرصة للاستفادة من ارتفاع أسعار الفسفاط في الأسواق الذي قفز من 70 الى 350 دولارا.. هذا الارتفاع كان سيمكن من تعبئة موارد هامة لميزانية الدولة من العملة الصعبة ويقلص بالتالي من القروض.. ان فزت بالرئاسة فساعمل على العودة الى انتاج 10 ملايين طن في غضون سنتين وثانيا فتح ملف الطاقة.. لنا مشكل كبير في الطاقة ووصل العجز الطاقي الى 10 مليارات دينار من غير المعقول ان نواصل توريد الطاقة بمثل هذا المستوى ومن أسباب هذا الاشكال توقف الاستكشافات التي يجب إعادتها بالتوازي مع التسريع في المرور نحو استعمال الطاقات المتجددة.

هل ستحافظ على مشروع الطاقات المتجددة ؟

البرنامج يتقدم بخطى بطيئة جدا وهو موجود منذ 2019.. كنا نستهلك طاقات متجددة بنسبة 3 في المئة وكنا في مستوى 2.8 في المئة تقريبا ومرد هذا التراجع زيادة الاستهلاك مقابل عدم الترفيع في الإنتاج والمسألة الثالثة ضمن اولوياتي هي الفلاحة.. اليوم ليس هناك بلاد متقدمة في العالم ليست لها فلاحة متقدمة.. لنا فلاحة تقليدية لذلك وجب التوجه نحو فلاحة ذكية تعتمد على التقنيات الحديثة التي تمنح الفلاح مردودية افضل وبالتالي سعر تكلفة افضل بما يعني منتوجا بأفضل الأسعار للمستهلك وأيضا يجب إعادة الارشاد الفلاحي... والملف المهم قطعا هو الماء الذي يمثل اليوم أكبر ازمة في البلاد ولي برنامج كامل ومتكامل بالنسبة للماء .. يجب توفير استثمارات بـ200 مليون دينار عاجلة لتجديد الشبكات التي تتسبب وضعيتها الحالية في ضياع 60 في المئة من الماء بالنسبة لقطاع الفلاحة و40 في المئة من الماء الصالح للشرب. لنا مشروع لمحطات تحلية مياه البحر والمياه الجوفية المالحة بالطاقات الشمسية وكلفة الماء ستكون اقل وبالطبع مردودية الفلاحة ستتحسن وسنركز أيضا على المياه المستعملة .. 300 مليون متر مكعب من المياه المستعملة اصبحت تمثل كارثة على شواطئنا وهناك اليوم 29 شاطئا في البلاد تمنع فيها السباحة... تقريب كل الشريط الساحلي تم تلويثه.

كل هذا يتطلب تمويلات ضخمة.. هل لك تصور لكيفية تعبئة التمويلات اللازمة؟

تمويلات منتجة حتى ان كانت في شكل قروض فهي ليست موجهة للنفقات وأريد التأكيد على ان التمويلات هي الاسهل في تونس.. مثلا في الصحة هناك تمويلات مرصودة بقيمة 2.5 مليار دينار من 2017 و2018 دون انجاز.

تتحدث عن المشاريع المعطلة ؟

طبعا.. ليس هناك أي انجاز لمشاريع على الرغم من رصد تمويلات لها... لماذا غاب الانجاز ؟ لانه ليس هناك كفاءات... الكفاءات أصبحت مستقيلة.. وحتى ان وُجدت فهي لم تعد منتجة.. لنا الفصل 96 أيضا.

هنا نصل لاصلاح الإدارة... ستعيد نفس شعارات رقمنة وتنقيح الفصل 96 ام ان لك تصورا مغايرا؟

انا رجل ميداني واؤمن بعمل فريق من الكفاءات واعددنا مشروعا وتصورا متكاملا وبالنسبة للوظائف العليا لابد من تحديدها ...هي من تقود الدولة في مجالات مختلفة... يجب تحديد الوظائف والمهام وأيضا تحديد المؤهلات التي تجعل الشخص موجودا في الموقع حسب أهداف ثم التقييم والمحاسبة والمبدأ هو الكفاءة والجدارة.

هل لك حكومة جاهزة؟

تقريبا.

واسم رئيس الحكومة ؟

تقريبا.

هل ستقدم فريقك ان فزت في الانتخابات كمستشارين في القصر وعلى مستوى الحكومة ؟

نعم سأقدم بعض الاسماء.. اسم رئيس الحكومة وأسماء المستشارين في القصر سأكشف عنها خلال الأيام القادمة مع بداية الحملة.. ساقدمهم للراي العام وللناخبين لاني شخص اؤمن بالذكاء الجماعي وبالكفاءات ضمن فريق عمل.

من هو الفريق الذي أعد برنامجك الانتخابي ومنذ متى انطلق العمل؟

سأكشف عنه في الحملة وانطلقت في الاعداد منذ سنتين.

في الخفاء "سكريتو" كنت تستعد لخوض الانتخابات الرئاسية ؟

كنت في مرحلة أولى في مشاورات مع عدة اطراف وكانت الفكرة مساندة شخصية على أساس مشروع مشترك وكنت مستعدا لأن أكون ضمن حملة او فريق عمل شخصية تترشح بعد اتفاق على برنامج.

من مثلا ؟

مثلا السيد فاضل عبد الكافي ثم انسحب.. وأسماء أخرى كانت مطروحة وللامانة لم نتشاور معها.. بعدها انطلقنا، كل كفاءة في مجالها، في اعداد برنامج عمل وسنقدمه خلال ندوة صحفية في افتتاح الحملة.

ما هي أسباب تمتيعك بحماية أمنية ؟

تم اعلامي بانه اجراء معمول به في الانتخابات الرئاسية السابقة 2014 وأيضا 2019.

هل هيئة الانتخابات حَكَم أو بساط الحاكم إلى الحُكم؟!

صالح مصباح

صار اليوم جليا أنّ كلّ عناصر العملية الانتخابية الجارية اليوم في تونس هي عناصر غاطسة في أبحر رسمية من النوايا المبيّتة والطوايا السيئة. وهي نوايا وطوايا لم تقدر الخزعبلات القانونية على إخفائها على نحو ما أجمع عليه أهل الذكر. أما النوايا المُبيّتة فخلاصتها تكييف كل شيء على مقاس أن يفوز مرشح السلطة في الانتخابات فوزا يسابق فيه نفسه أو يكاد. وأما الطوايا السيئة فخلاصتها أنّ هيئة الانتخابات أظهرت لأهل النظر أنها أداة تدير فوز الرئيس المنتهية عهدته، ولا تدير عملية ينافسه فيها المنافسون وينافسهم.

لكن ذروة تلكم النّوايا والطوايا إنما هي مآلات ملفات الترشح التي قدّمها أصحابُها لهيئة الانتخابات.و قد تعاملت الهيئة معها بخطتي إقصاء مختلفتين اختلافا مدروسا، إحداهما خطة لعبير موسي والأخري للآخرين. وفي هذه المساهمة نكتفي بالشأن الأول.

سبِقت عبير موسي الجميعَ إلى إعلان ترشحها، فسبقت الجميع إلى السجن. وإلى هذا السبق المزدوج ينضاف وزنُها السياسي المرموق، وحظوتُها بحزب مشع متماسك انضِيَافًا اقتضى أن تعاملها هيئة الانتخابات بخلاف ما تعامل به غيرها.

نيابةً عنها قدّم الأستاذ عماد القريشي، محاميا، ملفها للهيئة وتسلم وصلا في ذلك منصوصا فيه على كونها مترشحة وعلى كونه وكيلها. وقد خلا الملف من البطاقة عدد 3 ومن الضمان المالي ومن التزكيات .أما البطاقة عدد 3 فقد رفضت الجهة المعنية بها إصدارها لها.و أبطلت لاحقا المحكمة الإدارية حجيتها إبطالَ اتصال لفقه القضاء، إذ سبق لها إبطالها سنة 2014. وأما الضمان المالي فقد امتنعت إدارة الخزينة العامة عن تسلمه وامتنعت عنه بعدها هيئةُ الانتخابات.

وأما التزكيات فقد رفضت الهيئة المكلفة» بتوصيل» الرئاسة لطالبها،أن تسلم الأستاذ القريشي مطبوعتها. وعلى خلاف منطوق الفصل الثاني من مرسوم المحاماة، اشترطت الهيئة توكيلا مخصصا للغرض بإمضاء المترشحة. ولإرسال جهة مخولة تتولّى تحرير التوكيل على المترشحة في سجنها، خاطبت هيئة الدفاع عنها هيئة الانتخابات والمحكمة الابتدائية بتونس والمحكمة الابتدائية بمنوبة مرجع نظر سجن النساء ، وقاضي التحقيق الأول بصفته مصدر بطاقة الإيداع، والمحكمة الإدارية. والحصيلة حرمان المترشحة من مطبوعدة التزكيات. وقد

ثبّتت هيئة الدفاع عن المترشحة كل هذه المساعي بالوثائق وبمحاضر المعاينات القانونية.

وجاء رد الهيئة بالرفض المنصوص فيه على أن المترشح المرفوض ترشحه هو عماد القريشي. والحال أن ما من وثيقة في الملف باسمه. وختمت الهيئةُ حيثيات الرفض الموجه إليه إسميا بضمير المذكر المفرد. وها هنا يندرج التساؤل عن هذا الذي يبدو سهوا أو» خطأ ماديا»؟

تعلَم هيئة الانتخابات أن ملف عبير موسي مدعوم الحجية بواقع القوة القاهرة. لذلك قامت هذه الهيئة بهذا السهو المقصود من أجل ألا تتلقى المحكمة الإدارية في الطور الأول وفي الجلسة العامة رفضا يخص عبير موسي يمكن أن تقوم عليه حجية القوة القاهرة. تفطنت هيئة الدفاع عن المترشحة إلى هذا الفخ، فطعنت لدى المحكمة الإدارية في الطور الأول على القرارين؛ القرار الخاص بعماد القريشي من جهة أنه غير ذي صفة ، وقرار الرفض بالغياب أو الرفض الضمني الخاص بعبير موسي. وقد أصابت المحكمة الإدارية في طونها الأول ، بأن اعتبرت الرفض متعلقا بعبير موسي فوافقت بذلك ما جاء في وصل الإيداع، لكنها أقرت قرار هيئة الانتخابات الرافض لترشح عبير موسي

في الجلسة العامة ، نظرت المحكمة الإدارية في الملفّ نظرا موسعا. لكن حكمها عمّق المأزق القانوني. ذلك أنها أقامت رفضَها الحكم «بترشح عبير موسي» على أن المرفوضَ ترشّحَه ليس عبير موسي وإنما هو عماد القريشي. فأين نضع وصل الإيداع المنصوص فيه على أن عبير موسي هي المترشحة؟!

في هذا النطاق يتنزل احتمالان لا يقل أحدهما عن الآخر غرابة. أما الاحتمال الأول فهو أن الجلسة العامة وجدت بين يديها رفضَي ترشح اثنين ؛ رَفضُ هيئة الانتخابات باسم عماد القريشي، ورفضُ الطور الأول من حكم المحكمة الإدارية باسم عبير موسي. وما جاء في حكم الجلسة العامة أن موضوع نظرها ليس ملف عبير موسي للحكم لها أو عليها. وهاهنا، يكون قضاء الجلسة العامة قد ارتأى أن يبنيَ حكمه على قرار هيئة الانتخابات الذي ليست فيه عبير موسي مترشحة، وليس على حكم الطور الأول من حكم المحكمة الإدارية الذي فيه عبير موسي مترشحة. والسؤال هو أي الأمرين أولى من الآخر قانونا أو فِقها؟ .

الاحتمال الثاني أن الجلسة العامة ، وإن سمع قضاتها مرافعات الدفاع وتقريره المتعلفين بعبير موسي أساسا، لم يصل نظرَها ملفٌّ ترشح مرفوض باسم عبير موسي، وعلى ذلك بنت حكمها. والسؤال في هذه الحال هو من اغتال الملف أو من غير وجهته عن نظر الجلسة العامة؟!

والحصيلة أن لعبير موسي وصلا في الترشح باسمها وليس لها قرار رفض لترشحها أو قرار إدراج ضمن تلمترشحين سواء كانا صادرين أو صادرا أحدهما عن هيئة الانتخابات أو عن جلسة المحكمة الإدارية العامة. ولا ندري هل يجوز لنا أن نستنتج أن هيئة الجلسة العامة قد وجدت نفسها، في حال الاحتمال الأول، تحت ضغوط رسمية رهيبة. ولو صحت هذه الضغوط التي شاع خبرُ لقاء قد يرجّحها، ولا ندري مدى وجاهته، تكون هيئة الجلسة العامة قد مسكت العصا من الوسط، فلم تخضع للضغط كل الخضوع، ولم تلو عنق الحقوق، فقضت بألّا قضيةَ في الموضوع تخص عبير موسي، وأن لكلّ أن يفعل ما يراه صالحا.

على أن هذا الترجيح الذي نرتجي استبعاده، لا ينفي أن المحكمة الإدارية قد أكدت في جلستها العامة الناظرة في الملفات الأخرى أنها وفية لتقاليدها في حفظ حقوق الفرد وحرياته كلما أتاها من الإدارة العمومية تعسف أو اعتداء، وأنها أرقى من الصبيانيات التي تحاول عبثا الطعن على نزاهتها.

اليسار...الغائب الأبرز في الانتخابات

بقلم : د. رفيق بوجدارية

بعد قرارات الجلسة العامة للمحكمة الإدارية وبعد صدور القائمة النهائية للمترشحين لرئاسية أكتوبر المقبل والتي أعلن عنها البارحة مجلس هيئة الإنتخابات مخلفا كثيرا من التعاليق والنقاشات وفيضا من الملاحظات والمخاوف حول مآلات السباق الإنتخابي الأهم والأبرز في تونس وإقصاء من أعادتهم الجلسة العامة للمحكمة الإدارية في جلستها ليوم الخميس 29 أوت الماضي واذا اعتبرنا في تحليلنا قائمة المحكمة الإدارية نجد ان العائلات الفكرية التونسية ممثلة جميعها في "قائمة الستة" إلا واحدة وهي العائلة اليسارية التي غابت عن هذا الموعد. وسيطرح هذا الغياب عديد التساؤلات وسيؤثث في المستقبل عديد النقاشات بعد الفراغ من معركة سياسية-قانونية إثر الإعلان عن قرارات هيئة الإنتخابات ...

للتذكير، فإن قائمة الستة وكنت أرجو ألّا يمسها سوء ولا نقصان، تحتوي على الرئيس-المترشح ممثلا عن مسار 25 جويلية، ومنذر الزنايدي ممثلا عن العائلة الدستورية التجمعية الموسعة والوزير الأسبق للصحة عبد اللطيف المكي ممثلا عن الإسلام السياسي وزهير المغزاوي ممثلا عن التيار القومي العروبي والعياشي زمال الذي يمكن تصنيفه ضمن الجيل الجديد من العائلة الليبرالية الإجتماعية وأخيرا عماد الدايمي ممثلا للحراك "الثوري" وهو أحد قيادات الترويكا السابقة ورئيس ديوان الرئيس المؤقت الأسبق المنصف المرزوقي .

يتغيب عن هذه القائمة اليسار بشقيه الإجتماعي والماركسي فنجده هذه السنة يعجز عن تقديم مرشح/ة له لأول مرة منذ 2011 في الإنتخابات التاريخية .

هذا الغياب يعكس حالة الضعف والانقسام التي وصلت إليها الأحزاب اليسارية والتي تفاقمت أزمتها بعد 25 جويلية 21 حيث تفرقت مكونات اليسار التونسي بين معارض ومساند . فذهب الفريق الأول إلى مقاطعة كل الإنتخابات والمحطات السياسية فيما أبقى الفريق الثاني على موقف الداعم والمساند النقدي للسلطة الجديدة. هذا التفرق عمق الأزمة الفكرية والتنظيمية لليسار التونسي ويفسر ما لحق بمكوناته السياسية من ضعف ومن وهن وما لحق أيضا بمكوناته الإجتماعية من أزمة غير مسبوقة وأعني هنا ما يعيشه هذه الأيام إتحاد الشغل من مصاعب .

ولتفسير هذا الوضع المتردي يذكر عديد الوجوه اليسارية بـ:

تسلط الحكم ومحاصرة الأجسام الوسيطة والتصدي لكل من عمل في العشرية السابقة وإنحسار دائرة الحرية وما نتج عن هذا من خوف جاثم...

أما لو تناولنا المسألة من ناحية المقاربة التاريخية لوجدنا أن اليسار التونسي الذي نجح في تقديم مرشح له سنة 2004 في شخص الأستاذ محمد على الحلواني وفي سنة 2009 في شخص المرحوم أحمد إبراهيم لم ينجح بعد 2011 في عديد التجارب التي خاضها مثل تجربة القطب أو عند تشظي الجبهة الشعبية أو فشل مبادرات مدنية مثل الإتحاد المدني أو غيرها كمبادرة "قادرون" في انتخابات 2019..

ومرد هذا الفشل يعود حسب رأيي المتواضع إلى أمرين. فأما الأمر الأول فهو تغليب المصالح الضيقة على الانتصار للقضايا الكبرى التي جعلت من هذه القوى ذات هوية يسارية.. وليس أدل على ذلك من النهاية الحزينة للجبهة الشعبية . أما الأمر الثاني فهو أكثر تعقيدا من الأول لأنه موضوعي وليس ذاتيا ويعود إلى عقود خلت وهو فشل اليسار التونسي منذ الاستقلال في معركة التموقع. فالتاريخ السياسي التونسي الحديث يضم تيارا وطنيا حداثيا بمكونات عديدة مدنية وسياسية يقودها الحزب الدستوري وفي المقابل نجد تيارا تقليديا محافظا مثله الزواتنة ثم الإتجاه الإسلامي فسليلته حركة النهضة. في حين فشل اليسار في بناء قطب ثالث بقي مترددا بين التيارين الأساسيين الحداثي الوطني والتقليدي المحافظ. فنجد العديد من اليساريين الذين تحالفوا مع بورقيبة ثم خاصة مع بن علي وأصبحوا وزراء في حكوماته وفي المقابل مثلت حركة 18 أكتوبر أبرز تحالف يساري-إخواني قدمت تفاهماته القاعدة النظرية لقيام الترويكا ولو بصورة مشوهة ومبتورة .. وما زاد في ارتباك أحزاب اليسار هو الموقف من 25 جويلية وكيفية معارضة السلطة الحالية وخاصة ربط التحالفات مع أطراف معارضة أخرى كالحزب الدستوري الحر. فإن ما جعل القوى اليسارية غير مستعدة للتنافس على السلطة هو عجزها عن تشكيل خط ثالث يكسر الاستقطاب الحاد بين القطب الحداثي والقطب المحافظ.

وعلى الرغم من الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية الصعبة التي ترزخ تحت تأثيرها تونس والتي كان بإمكان اليسار استغلالها للمراهنة على الصعود إلى الحكم فإنه فوت هذه الفرصة على نفسه ليبقي على حظوظه ضعيفة في أن يكون صانعا للتحولات السياسية الكبرى مثل اليسار الفرنسي أو الإسباني أو في عديد بلدان أمريكا الجنوبية مثل الشيلي وغيرها. ولا يمكن لهذه الحظوظ أن تعود وتقوى إلا من خلال جيل جديد من اليساريين. جيل يحمل أفكارا مجددة وإستراتيجيا جديدة من أجل الحرية والعدالة الإجتماعية والمساواة وحقوق الإنسان والدفاع على البيئة. جيل يضع حدا للقطيعة القائمة بين القيادات والشباب وهذا لا يأتي إلا بالديمقراطية داخل الأحزاب والمكونات اليسارية المختلفة .

إن التاريخ النضالي لليسار التونسي والذي يفوق عمره قرنا من الزمن وما راكم من تراث فكري وتجارب تنظيمية ونضالية كفيل بإنجاح هذا التناوب الجيلي إذا وجدت الرغبة في ذلك ... وعلى اليسار من أجل أن يتجدد ويدافع عن هويته الفكرية وحضوره الميداني القطع مع الصراعات العقيمة التي تشقه والتي وأدت أحلام أجيال متعاقبة من المنتسبين إليه وعليه أن يتصالح مع الثقافة الشعبية التونسية وأن يطور من رؤاه وعلاقاته بالإحتجاجات الإجتماعية من جهة وبالمكونات السياسية الحداثية الأخرى من أجل فرز الثانوي عن الرئيسي والمهم عن الأهم.

ويبقى الحلم قائما في يسار أفضل وتونس أفضل .

الشارع المغاربي

تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي - رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

ماذا يحدث داخل «القمرق»؟

محمد الجلالي

لا يزال ملف الحوافز العينية المعروفة بـ «المذاقات الاستثنائية» التي ظل مصنع التبغ بالقيروان والوكالة الوطنية للتبغ والوقيد يوزعانها على أعوان ومسؤولين من داخل المنشأتين وخارجهما لسنوات طويلة يثير جدلا بخصوص قانونية الاجراء والمغزى من اقتصار وزارة المالية على مقاضاة اعوان بالوكالة عوض اتخاذ نفس الاجراء مع أعوان مصنع القيروان.

واللافت ان لجوء الوزارة الى القضاء جاء بعد انجاز تقارير رقابية على المنشأتين أثار حفيظة عدد من ابناء «القمرق» ممن اعتبروا ان سلطة الاشراف استغلت ملف «المذاقات الاستثنائية» لـ «التنكيل» ببعض اعوان الوكالة مقابل غض النظر عمن تمتعوا بنفس الحوافز بمصنع القيروان.

عمليات مشبوهة

يوم 3 أفريل 2023 وجهت وزارة المالية مراسلة الى وكيل الجمهورية بالمحكمة الابتدائية في تونس للمطالبة بفتح تحقيق عدلي في ما اعتبرتها عمليات مشبوهة بوكالة التبغ والوقيد قالت انها تتعلق بالتصرف في مواد تبغ محجوزة.

الوزارة ارفقت المراسلة بنسخة من تقرير خاص بمراقبة التصرّف في المواد المشبوهة في الوكالة وبحوصلة لاهم الاخلالات الواردة بالتقرير.

واكدت الوزارة ان اعمال الرقابة افضت الى ان العمليات المشبوهة التي تم رصدها قد تكتسي طابعا جزائيا.

وأوضحت ان اعوانا بالوكالة لم يقدموا ما يبرّر غياب 25 محضر تسليم مواد محجوزة من مصالح الديوانة الى المؤسسة المذكورة مشيرة الى ان المحاضر تتعلق بالفترة الفاصلة بين 2019 و2022 والى ان قيمة المحجوز تناهز 13.9 مليون دينار.

وأكدت الوزارة ان التثبت في عمليات اتلاف المواد المحجوزة كشف عن وجود عديد الاخلالات منها :

• عدم التأكد من وضعية المواد المحجوزة قانونيا قبل اتلافها.

• عدم مد فريق الرقابة التابع لها بمحاضر اتلاف كميات من السجائر باعتبار ان ذلك لا يمكّن من تحديد كمية السلع المتلفة.

• تمتيع اعضاء باللجنة المشرفة على الاتلاف بحصص من السجائر المحجوزة (مذاقات استثنائية) تمثلت في نحو 3 أو 5 خراطيش سجائر عن كل عملية اتلاف.

• تسجيل تضارب بين نسختين من محضر عدل تنفيذ يتعلق باتلاف 125 الف خرطوشة سجائر محجوزة يوم 29 جوان 2021 مع وجود شبهة قوية في تزوير الوثيقة المذكورة وفي ارتكاب تجاوزات في عملية الاتلاف.

• تسلم مدير عام سابق للوكالة كميات من المواد المحجوزة بقيمة 61 ألف دينار خلال سنة 2021 دون وجود سند قانوني او تقديم ما يثبت مآل هذه الكميات.

• عدم تمكين مراقبي الوزارة مما يثبت مآل سلع محجوزة بقيمة 710 آلاف دينار خلال سنتي 2021 و2022.

متاجرة بالمحجوز

وزارة المالية اكدت أيضا انه تم الوقوف خلال مراقبة التصرف في السلع المحجوزة لدى الوكالة على اسناد ادارة المؤسسة كميات من السجائر بعنوان «مذاقات استثنائية» الى اعوانها خلال سنة 2021 بلا اي سند قانوني.

ورجّحت تعمّد أعوان تابعين للمؤسسة المتاجرة بسلع محجوزة عبر اقتناء حصص من حوافز عينية تابعة لزملاء لهم وترويجها بالسوق الموازية وتسلم اعوان اخرين كميات من المحجوز اعتمادا على وصولات مشكوك في صحّتها.

الوزارة أبرزت ايضا في شكايتها ان بعض الاعوان تسلموا سلعا محجوزة قبل تقديمها كهدايا لاشخاص لا يعملون بالوكالة.

وعلّلت الوزارة شكايتها باعتبار ان التفريط في كميات من السجائر ومواد التبغ في شكل حوافز عينية (مذاقات استثنائية) تم دون توفر ما يفيد صلوحيتها للاستهلاك وفي غياب موافقة من سلطة الإشراف وهياكل التسيير على اسنادها للاعوان اضافة الى غياب تراخيص صحية مشددة على ان ذلك يساهم في انتعاش السوق الموازية ويهدد صحة المستهلك مع حرمان ميزانية الدولة من موارد هامة.

وزارة المالية ذكّرت أيضا بأنه سبق أيضا لهيئة الرقابة العامة لأملاك الدولة والشؤون العقارية ان تطرقت في تقرير انجزته في ماي 2020 إلى جل النقائص والاخلالات التي تم رصدها في ملف التصرف في مواد التبغ المحجوزة بالوكالة اضافة الى تقريرين صادرين عن الادارة العامة للاداءات والادارة العامة للمحاسبة العمومية خلال سنتي 2021 و2022.

وخلصت الوزارة الى التشديد على تواصل غياب دليل اجراءات ومنظومة اعلامية للتصرف في السلع المحجوزة بالوكالة وتواصل سوء التنظيم المتعلق بطريقة خزن السلع المحجوزة اضافة الى وجود نقائص تتعلق بمسك وتنظيم الوثائق والدفاتر الخاصة بالمخزون.

ومصنع القيروان؟

مجهودات وزارة المالية الرقابية لم تقتصر على انجاز تقارير عن حوكمة السجائر المحجوزة والمخزّنة لدى وكالة التبغ والوقيد وانما شملت أيضا التصرف في السلع المحجوزة لدى مصنع التبغ بالقيروان.

في هذا السياق تساءلت آمال التليلي الموظفة الموقوفة عن العمل لمدة 6 أشهر من وكالة التبغ والوقيد عن مصير تقرير الادارة العامة للاداءات عن مصنع القيروان مؤكدة انه تم انجازه في نفس الفترة التي تمت فيها مراقبة التصرف في المحجوز بالوكالة.

وأشارت الموظفة في تصريح لأسبوعية «الشارع المغاربي» إلى ان مسؤولين وأعوانا بمصنع التبغ بالقيروان تمتعوا بحوافز عينية أي بمذاقات استثنائية شأنهم في ذلك شأن مسؤولين واعوان بالوكالة.

وقالت المتحدثة «لئن ضم التقريران اللذان اعتمدت عليهما وزارة المالية لتحرير شكايتها على نفس الملاحظات لعل اهمها غياب وثائق تثبت التصرف في المحجوز فإن مدير عام الوكالة تحوز على تلك الوثائق وفق ما تثبت معاينات انجزها عدل تنفيذ على مغازة المؤسسة العمومية».

واضافت «اما حديث الوزارة عن خسائر بالمليارات فهو لا يمت للواقع بصلة باعتبار ان السلع المحجوزة لا تمثل مخزونا ولا تنتمي لمواد الاختصاص التي تنتجها او تروجها الوكالة وهي غير معدة للبيع بل للإتلاف».

واكدت ان القائمات المالية المصادق عليها من طرف مراقب حسابات الوكالة لم تتضمن اي نوع من المحجوزات .

وذكّرت الموظفة بأنه تم العمل بإجراء المذاقات الاستثنائية كحوافز لأعوان المؤسسة ومسؤوليها منذ 1971 مشددة على ان وزارة الإشراف على علم بذلك.

يذكر انه سبق لآمال التليلي ان كشفت في تصريح سابق لـ «الشارع المغاربي» انها «بلّغت عن فساد مالي واداري يرتقي الى مستوى الجريمة المنظمة عبر عقد صفقات مشبوهة وفرض تعيينات في غير محلها» مشيرة الى انها أعلمت الشرطة الاقتصادية بتفاصيل مختلف التجاوزات.

يشار الى ان ملف الحوافز العينية التي يحصل عليها اعوان ومسؤولون في الوكالة الوطنية ومصنع التبغ (كميات كبيرة من خراطيش سجائر تحجزها مصالح الديوانة او الامن) لا يزال يثير جدلا بخصوص قانونية العمل به خاصة بعد رفع مرصد «رقابة» شكاية بعدد من مسؤولي الوكالة وتعالي اصوات ترفض ما تسميه «تعامل سلطة الاشراف بسياسة المكيالين مع وكالة التبغ ومصنع القيروان».

هل يجوز لرئيس الجمهورية تغيير الحكومة في الفترة الانتخابية ؟

بقلم : عبد السلام الككلي

يقول رئيس الجمهورية قيس سعيد في حفل أداء الوزراء الجدد اليمين عقب الإعلان عن التحوير الوزاري يوم 25 اوت 2024" وقد يقول قائل صادقا او من غير الصادقين ان هذا التحوير الوزاري يأتي قبل الانتخابات الرئاسية بعدة أسابيع ولكن فليفرق ويميز هؤلاء الذين نستمع اليهم كل يوم وهم من المفترين الكاذبين بين الدولة وأمنها القومي والسير العادي لدواليبها ". ويرد صراحة على هؤلاء الذين يصفهم بـ" الكاذبين والمفترين" قائلا " ولو اقتضت المصلحة الوطنية العليا للبلاد ادخال تحوير وزاري حتى بعد فتح مكاتب الاقتراع لما وقع التردد في اجراء هذا التحوير" ..

ولا شك ان رئيس الجمهورية يعلم جيدا بصفته أستاذ القانون الدستوري ان تحويرا شاملا للحكومة (تضمن التحوير الاخير 19 وزيرا و3 كتاب دولة وكان قيس سعيد قبل ذلك بقليل قد قام بتعيين رئيس حكومة جديد يوم 7 اوت 2024) خلال الفترة الانتخابية سواء كانت الانتخابات برلمانية او رئاسية سلوك غير مستساغ. وذلك لأننا على أبواب انتخابات.ومن المحتمل دستوريا ومنطقيا ان ترحل هذه الحكومة مباشرة بعدها اذا فاز مرشح آخر غير قيس سعيد في الانتخابات الرئاسية المقبلة يوم 6 أكتوبر 2024 وهو ما يعني ان مصيرها سيكون الاستقالة او الإقالة من قبل الرئيس الجديد وأنه اذا حصل التغيير في منصب رئيس الجمهورية لن تعمر هذه الحكومة غير اشهر قليلة فقط..فهل يمكن القول ان هذا التحوير الذي يأتي ونحن على أبواب انتخابات رئاسية مخالف للعرف الجاري به العمل في البلدان الديمقراطية ان لم يكن مخالفا للدستور سواء في الانظمة الرئاسية او البرلمانية او البرلمانية المختلطة ؟

وهل يمكن اعتبار الحكومة المقالة قبل التحوير الوزاري حكومة تصريف اعمال في انتظار الانتخابات القادمة بحيث لا يجوز تغييرها؟

أ) ما هي حكومة تصريف الاعمال ؟

حكومة تصريف الأعمال GOUVERNEMENT D'AFFAIRES COURANTES مصطلح غير واضح وغير متفق عليه رغم أن هذه الحكومة من ثوابت النظام البرلماني ومن حالاته المتواترة. فرغم انه يوجد اتفاق إلى حد كبير على أنها حكومة مؤقتة ومحدودة الصلاحيات فإن هذا الاتفاق لا ينفي وجود خلافات حولها وسنرى في هذا المقال الموجز بعض هذه المشاكل سواء في الدستور أو في القانون والتجربة السياسية المقارنين.

أ) تصريف الأعمال في الدستور التونسي

لم تتعرّض دساتير الجمهورية التونسية سواء دستور 1 جوان 1959 او دستور 27 جانفي 2014 او دستور 2022 إلى مسألة حكومة تصريف الأعمال إلاّ في حالة واحدة في الفقرة الأخيرة من الفصل100 من دستور 2014 . ولم تعرّف الأعمال التي تدخل في نشاطها واقتصرت على بيان معطيات تخصّها وهي أوّلا الظّرف الدستوري الذي تنتصب فيه هذه الحكومة وثانيا من يشرف عليها ومن يختارها ومن يسمّيها وثالثا أجل نهاية صلاحيتها . ولم يتم ضبط مدّة زمنية معيّنة لمباشرة حكومة تصريف الاعمال مهامها فهي تنتصب إذا حصل شغور نهائي في منصب رئيس الحكومة « لأيّ سبب عدا حالتي الاستقالة وسحب الثقة ». ورغم أنّ الفقرة الاخيرة من الفصل 100 المذكور تصف تلك الحكومة بالمنتهية مهامها فإنها تتحول هي نفسها الى حكومة «تصريف اعمال تحت اشراف عضو منها يختاره مجلس الوزراء ويسمّيه رئيس الجمهورية الى حين مباشرة الحكومة الجديدة مهامها".

ويبدو أن نواب المجلس الوطني التّأسيسي كانوا واعين بالمخاطر التي قد تترتّب عن حكومة تصريف الأعمال لضيق هامش تصرفها فضيّقوا من مجال قيامها وحصروه في صورة واحدة مبيّنة في الفقرة الأخيرة من الفصل100 من الدستور وهي الشغور النهائي في منصب رئيس الحكومة

ب) حكومة تصريف الأعمال في التجربة الدستورية المقارنة

نجد تعريفا لهذه الحكومة ولمجال أنشطتها في القانون المقارن وفي العرف الجاري به العمل في بعض البلدان الأوروبية مثل بلجيكا وفرنسا.

يعرّف الأستاذ سامي دلّة وهو عميد سابق لكلّة الحقوق في جامعة حلب، حكومة تصريف الأعمال بأنّها « حكومة متحولة من حكومة عادية بكامل الصلاحية إلى حكومة محدودة الصلاحيات في حدود تأمين استمرارية العمل الحكومي في حدوده الإدارية، وذلك بسبب ممارسةَ دستورية طبيعية ناجمة عن واقع سياسي جديد ويتمّ التّحول من حكومة عادية إلى حكومة تصريف الأعمال إمّا بسبب استقالة الحكومة أو بسبب سحب الثقة منها او بسبب اعتبارها في حكم المستقيلة نتيجة واقع دستوري جديد مثل انتخاب برلمان جديد أو بسبب حلّ البرلمان أو بسبب انتخاب رئيس جمهورية جديد في الأنظمة الرئاسية وعلى سبيل المثال ففي فرنسا جرى العرف على أنّ الوزير الأول يقدّم اثر الانتخابات الرئاسية استقالة حكومته الى رئيس الجمهورية المنتخب ثم أصبحت الاستقالة تقدّم إلى رئيس الجمهورية المنتهية ولايته لكن تبقى الحكومة المستقيلة قائمة وتشتغل بتصريف الأعمال إلى حين تسمية الحكومة الجديدة مثلما يقع الان في فرنسا بعد الانتخابات البرلمانية الأخيرة السابقة لأوانها اثر حل الرئيس الفرنسي امانويل ماكرون "الجمعية الوطنية".

أما في بلجيكا فإن الحكومة المنتهية مهامها تتحوّل من حكومة عادية الى حكومة تصريف الأعمال وهي مبدئيا ذات صلاحيات محدودة وأسباب التّحوّل في الوضع الدستوري عديدة مثل استقالة الحكومة او فقدان ثقة البرلمان او حل البرلمان أو في انتظار حكومة جديدة.

نستخلص مما سبق أن هناك اتفاقا عاما بين فقهاء القانون وفي التجارب المقارنة على ان التّحوّل في طبيعة الحكومة من عادية كاملة الصلاحيات إلى حكومة تصريف أعمال يضيّق من مجال عملها فتفقد الكثير من صلاحياتها وينحصر عملها مبدئيا في المرافق العمومية التي تقدّم الخدمات إلى المواطنين وفي الأعمال اليومية أو العادية أو الأعمال الجارية التي سبق ان شرعت فيها قبل تحوّل طبيعتها وتقوم أيضا بالأعمال العاجلة التي لا تقبل الانتظار ولدفع خطر يحدّق بمصالح الدولة والمواطنين وتبدأ مدّة عمل حكومة تصريف الأعمال من تاريخ تحوّلها من حكومة عادية وتنتهي بمباشرة الحكومة الجديد.

ونظرا لطبيعة عملها المحدود فان اغلب الفقهاء يعتبرونها غير مسؤولة أمام السلطة التشريعية إما بسبب استقالتها أو بسبب سحب الثقة منها وهذا ما يبرّر أنّه لا يمكن لها القيام بأعمال او اتّخاذ قرارات تترتّب عنها التزامات وطنية ودولية للحكومة القادمة مثل ضبط خيارات مستقبلية أو التعيين في الخطط الإدارية السامية أو تقديم ميزانية الدولة أو القيام بطلب عروض أو إبرام اتّفاقيات دولية.

غير ان مشكلا يعترضنا في فهم معضلة هذه الحكومة محدود ة الصلاحيات. فلئن كانت طبيعة صلاحياتها امرا متفقا عليه عموما فإن مدّة عملها تبقى محل إشكال لان هذه المدة قد تطول أو تقصر حسب الظروف السياسية وهو ما حصل فعلا في بلجيكا بسبب الأزمات التي عاشتها المملكة إذ تكرّرت حكومات تصريف الإعمال وطالت مدد عمل بعضها وبلغت 7 اشهر عام 2007 و541 يوما عام 2011 وهو ما اضطرّ تلك الحكومات إلى توسيع مجال عملها فقدّمت ميزانية الدولة وأمضت اتفاقيات دولية مثل اتفاقية « ماستريخت » واتفاقية "لشبونة" المتعلّقتين بالاتّحاد الأوروبي وانضمت بلجيكا عام 2011 الى ما يعرف بالتحالف الدولي الذي تدخّل عسكريا في ليبيا.

أما اليوم فلا احد يعرف متى يعين أمانويل ماكرون رئيس وزراء جديد يشكل حكومة تخلف حكومة غبريال أتال المستقيلة بسبب الخلافات حول رئيس الوزراء المنتظر تعيينه بين الأحزاب والكتل الممثلة في البرلمان والتي لم يحرز أي منها الأغلبية المطلقة وقد تبقى حكومة أتال باعتبارها حكومة تصريف اعمال الى أجل غير محدد.

إنّ طول مدّة عمل حكومة تصريف الأعمال وتوسيع مجال تدخّلها وطنيا ودوليا دفع إلى التّساؤل عن جدوي حكومة تصريف الأعمال التي هي بطبعها حكومة محدودة الصلاحيات لكن تتوسّع تلك الصلاحيات في ظرف سياسي متحرّك وطنيا ودوليا فتتّخذ الحكومة وهي في حلّ من أيّة رقابة برلمانية إجراءات وقرارات ذات صلة مباشرة بمستقبل البلاد

ج) قيس سعيد والتحوير الوزاري الأخير

لا شك أنه ليس هناك في دستور 2022 ولا في غيره من دساتير الجمهورية ما يمنع رئيس الجمهورية قيس سعيد من تشكيل حكومة جديدة قبل شهر وبضعة أيام من الانتخابات الرئاسية بل حتى بعد فتح مراكز الاقتراع مع شيء من المبالغة في الكلام التي يقصدها رئيس الجمهورية لمحاججة خصومه وحتى لاستفزازهم، غير ان ذلك لا يمنع أيضا من ابداء بعض الملاحظات والوصول الى بعض الاستنتاجات:

أولا : ان الرئيس قيس سعيد واع تمام الوعي بأنه من الصعب القبول بالتحوير الذي قام به بالنظر الى كثير من التجارب في الأنظمة البرلمانية وحتى في الأنظمة الرئاسية. ولذلك يردّ على الرافضين لهذا التحوير الذي تم قبل أربعين يوما من الانتخابات الرئاسية صراحة وبكثير من الحدة من خلال القول بانه يمكنه ان يقوم بالتحوير حتى بعد فتح أبواب مراكز الاقتراع لانتخاب رئيس جديد للجمهورية متهما من يعارض هذا التحوير بالمفتري والكاذب.

ثانيا : يبرر قيس سعيد التحوير الوزاري بالحاجة اليه بسبب تعطل أجهزة الدولة لكن دون ان يعلم احدا كيف تعطلت هذه الدواليب ومن المسؤول عن التعطيل عدا إشارة ضمنية من رئيس الجمهورية في موكب اداء الوزراء الجدد القسم الى الفصل 100 من دستور 2022 والذي ينص على ان "رئيس الجمهورية يضبط السياسة العامة للدولة ويحدد اختياراتها الاساسية..." وإشارة اخرى منه الى عدم فهم بعض الوزراء الواقع الدستوري الجديد الذي يجعل الوزير مُنفّذا لهذه السياسة لا أكثر وعونا لرئيس الجمهورية مطلق الصلاحيات فلا يمكن له ان يخالفه صراحة او ضمنيا . فهل يمكن اعتبار ان سبب اقالة رئيس الحكومة السابق أحمد الحشاني فيديو نشره قبل مدة وجيزة من إقالته ويتضمن شرح أسباب مشكلة انقطاع الماء في كثير من الجهات اذا يقول ان البلاد تعيش فترة "جفاف بسبب تواتر سنوات الجفاف" وهي سبب مناقض تماما لتلك الأسباب التي يعيدها قيس سعيد ويكررها والتي ترجع الامر دائما الى وجود مؤامرة وهو التفسير الأثير لديه يقدمه شرحا دائما لكل علل البلاد ومشاكلها اقتصادية كانت او اجتماعية

ثالثا: ان هذا التصرف يوحي بان قيس سعيد لا يضع في اعتباره إمكانية رحيله دستوريا ورحيل هذه الحكومة معه، ولا نجد مثيلا لهذا السلوك لا في النظام التونسي ولا في الأنظمة المقارنة لأنه تصرف سابق لأوانه وهدر محتمل للوقت والجهد اذا وضعنا في اعتبارنا أنه يمكن اثر الانتخابات التشريعية او الرئاسية وبالنظر الى اختلاف الأنظمة الدستورية ان يحدث تغيير على مستوى البرلمان والأحزاب الممثلة فيه او في منصب رئاسة الجمهورية وهو ما يعني حتما تغيير للحكومة .

فماذا بوسع وزير ان يفعل اذا كان بقاؤه في الوزارة لن يتجاوز عدة اشهر لو حصل التغيير؟ ولكن يبدو ان قيس سعيد يلغي تماما احتمال حصول هذا التغيير على راس الدولة فهو في نظر نفسه باق ...فمسألة بقائه مرتبطة بحرب التحرير الوطني التي يقودها وهي معركة " بقاء او فناء" .

من المسكوت عنه في التاريخ التونسي :

«دار جواد» نبش في ذاكرة معاناة المرأة التونسيّة

بقلم : منصف سلطاني (أستاذ وباحث في التاريخ المعاصر)

كانت المرأة التونسية خلال الفترة الاستعمارية تعاني الاضطهاد والقهر، فقد حرمها المجتمع المتمسك بعادات بالية من أبسط حقوقها. وكان الطاهر الحداد أول من نادى بضرورة تحرير المرأة حيث كشف عن الوضعية الدونية المزرية التي تعانيها النساء التونسيات في القرن العشرين.

وفي سنة 1930 أصدر الطاهر الحداد كتابه المعنون ب» إمرأتنا في الشريعة والمجتمع» الذي دعا فيه إلى تحرير المرأة وتأهيل الأسرة وتثقيفها.

أثار إصدار كتاب إمرأتنا في الشريعة والمجتمع ردود فعل قويّة من قبل الأوساط المحافظة خاصة من قبل الزيتونيين. فتمّ تكفير الطاهر الحداد وتجريده من شهادة التحصيل التي تحصل من جامع الزيتونة.

وبناء على ما تقدم، لابد أن نقف على ومضة من تاريخ معاناة المرأة التونسية قبيل دعوة الطاهر الحداد إلى تحريرها. ومن بين مظاهر الاضطهاد والقهر التي كانت تعاني منه التونسيات نذكر « دار جواد «، وهو بمثابة سجن لكل النساء المتمردات على أزواجهن. لقد غيّب التاريخ التونسي سواء في مدارج الجامعة أو في الدراسات أو المجلاّت الحديث عن سجن « دار جواد». وكانت الدراما التونسيّة هي من أثارت ماسكت عنه التاريخ، وقد يعود ذلك إلى شح المصادر سواء المكتوبة أو الشفوية.

نشأت دار جواد في القرن السادس عشر وألغيت بصفة نهائية في بداية الاستقلال حينما تحررت المرأة التونسية بقوّة القانون ونعني بذلك صدور مجلّة الأحوال الشخصيّة يوم 13 أوت 1956. وتعدّ دار جواد بمثابة سجن ديني للمرأة التي تخرج عن الطاعة الزوجيّة. إنّ الحديث عن ما تعانيه المرأة في سجن دار جواد يكاد يكون مغيّبا في الأوساط الثقافية والأكاديميّة في تونس. وكان مسلسل عنبر الليل الذي تمّ بثه سنة 1999 على شاشة التلفزة التونسيّة أول عمل درامي ينبش في ذاكرة القهر والاضطهاد التي كانت تعانيهما النساء التونسيّة. ويتمثل المشهد الذي عُرضت فيها دار جواد في المسلسل التونسي في ما يلي « يختار الحاج عزّام زينب ابنة صديقه الذي توفي في حادث عمل لتكون زوجة لإبنه المدلل «عزوز»، في المقابل كان عزوز يميل إلى إبنة عمته عائشة. ولّما توفي والده عمد عزوز إلى التخلص من زوجته فأذاقها كل أشكال العذاب، ثم قدم شكوة إلى القاضي الشرعي واتهمها بالخروج عن الطاعة الزوجية فحكم عليها القاضي بدخول دار جواد. وحين دخلت زينب لاحظت كل مظاهر التسلط الذي تمارسه «الجايدة»(إمرأة مسنة تشرف على تسيير دار جواد لتأديب النساء وإرجاعهن إلى بيت الطاعة) على النساء الموجودات في دار جواد، خيّرت حينها الهروب إلى مقاوم ولي صالح «الزاوية».

كانت دار جواد سجنا دينيّا تهابه كل النساء نظرا لما يوجد فيه من تسلط على النساء المتمردات على أزواجهن، ليتم إعادتهن تائبات أو إيواء الفتيات لتعليمهن أصول الزواج وتأهيلهن قبل قدوم الزوج المرتقب. وكانت النساء في دار جواد يقضين وقتهن في أعمال الطبخ والتنظيف والخياطة طوال اليوم كأسلوب عقابي وحثهن على طلب الاعتذار من الزوج.

ظلّت دار جواد قرابة 4 قرون من الزمن بمثابة الكابوس الذي يهدد به الرجل المرأة التونسيّة.

وأمّا العمل الدرامي الثاني الذي تطرّق إلى الحديث عن دار جواد فيلم «الجايدة» للمخرجة المتميزة سلمى بكار. ويسرد الفيلم ما كان يدورمن أحداث في دار جواد في السنتين الأخيرتين من عمرها بين 1954 و1956 أي قبيل الظفر بالاستقلال وتحرير المرأة التونسية واغلاق دار جواد.

يسرد فيلم « الجايدة» قصص أربعة نماذج من النساء المقيمات في دار جواد من محيط اجتماعي مختلف. إذ طرحت كل شخصية من الشخصيات النسائية مشكلة مختلفة عن الأخرى، تمثلت أساسا في الخيانة الزوجيّة والحرمان من الحبيب قسرا والاحتقار بسبب الشهوات الجنسية وصولا إلى تنكيد حياتها بسبب إنجاب أنثى. وإنّ نقطة الالتقاء بين كل النساء هي التعايش في سجن ديني منعزل عن العالم الخارجي بسبب مخالفة الأعراف الزوجية والتقاليد البالية للمجتمع.

صوّر لنا الفيلم أيضا تجارب مؤلمة عاشتها المرأة التونسية قبل الظفر بالاستقلال. فكانت لكل إمرأة في فيلم الجايدة نهاية. على سبيل المثال اختارت ليلى احدى النساء المقيمات في دار جواد نهاية تراجيدية لحياتها وهي « الانتحار».

ختاما، أثارت الدراما التونسيّة عدّة حقائق من الماضي القريب والبعيد حول المكانة الدونيّة للمرأة التونسيّة، ظلّت الدراسات الأكاديمية غافلة عن إثارتها. فقد أخرجت الدراما التونسية مسلسل عنبر الليل وفيلم الجايدة ذاك المكان المخصص لسجن المرأة المتمرّدة عن الطاعة الزوجيّة من الماضي إلى الحاضر. كما استطاعت الدراما التونسية في عملين تصوير كواليس مؤسسة دار جواد مبرزة واقع مرّ كانت تعيشه المرأة قبل تحريرها غداة الاستقلال.

الهوامش:

فيلم الجايدة للمخرجة سلمى بكار

مسلسل عنبر الليل إخراج الحبيب المسلماني.

Dalanda Largueche, Dar Joued : Ou l'oubli dans la mémoire, marginales en terre d'islem, .Tunis, Cérés,1992

نُذر حرب مدمّرة في القرن الافريقي :

أثيوبيا تريد قاعدة عسكرية تطلّ على باب المندب والجيش المصري ينزل في الصومال

الحبيب القيزاني

منذ حوالي أسبوع حطت بمطار العاصمة الصومالية موغديشو طائرتا نقل عسكري مصريتان من نوع C130 محملتان بأسلحة ثقيلة وبنحو 10 الاف جندي. السؤال هو أي مهام كلفت بها القوات المسلحة المصرية في الصومال؟

وراء الحدث قصة طويلة ملخصها ان مجرد القاء نظرة على ما يحدث على الحدود المصرية يكشف أن البلاد باتت محاطة بنقاط مشتعلة : فعلى حدودها الشرقية، وبعد حرب إبادة جماعية شنتها إسرائيل على قطاع غزة بدعوى القضاء على «حماس» يرفض نتنياهو مغادرة قواته محور فيلادلفيا في خرق واضح لاتفاقية كامب ديفيد. أما على حدودها الجنوبية بالسودان الذي يعتبر عمقها الاستراتيجي فتدور حرب أهلية بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريعة المدعومة من اطراف خارجية مع ما يتبع ذلك من تسلل آلاف النازحين الى مصر بما يتطلب من جيشها حالة استنفار دائمة لمنع دخول جماعات ارهابية الى البلاد. أما في ليبيا فالوضع غير مطمئن بسبب الصراعات على الزعامة ممثلة بالخصوص في عداوة بين حكومة الجنوب وحكومة الشمال مع ما قد يترتب عن ذلك من صدامات عسكرية (قد تتجدد اثر اغتيال يوم امس قائد عسكري بطرابلس) عانت منها ليبيا ولا زالت منذ تدخل حلف الناتو للقضاء على نظام معمر القذافي وتدمير مرافق الدولة الوطنية الى جانب تدخل حكومات اجنبية وراء طرف معيّن طمعا في التفرد بثروة البلاد الهائلة : النفط.

لماذا اذن تحركت مصر عسكريا في اتجاه الصومال؟

احدى طائرتي C130 المصريتين اللتين نزلتا بمطار موغديشو

الحقيقة ان وراء ذلك قصة طويلة تبدأ من عام 1960. يومها كان الصومال تحت احتلال بريطاني – إيطالي. وبينما سيطرت إيطاليا على معظم أراضي البلاد اكتفى الانقليز بجزء صغير واطلقوا عليه اسم صوماليلاند Somaliland (ارض الصومال).

في نفس العام غادر الايطاليون والانقليز البلاد فتوحّد الصومال. لكن في عام 1991 وبعد حرب أهلية طاحنة شهدتها البلاد أعلن صوماليلاند عن استقلاله عن الصومال وقيام دولته التي تشكل أهم منطقة استراتيجية في كل الصومال لأنها تطل على خليج عدن وهي في نفس الوقت قريبة من باب المندب ومساحتها نحو 177 ألف كلم وعاصمتها هرغيسا فيما يناهز عدد سكانها 6 ملايين نسمة ويتكلم سكانها العربية والصومالية والانقليزية.

عام 2016، احتفلت «دولة صوماليلاند» بمرور 25 عاما على استقلالها.

الغريب في الأمر أنه لا توجد دولة اعترفت بصوماليلاند كدولة. أما لماذا فلعدّة أسباب منها أن البلاد رغم موقعها الاستراتيجي الهام ضعيفة اقتصاديا ثم انها تملك ميناء واحدا هو ميناء بربرة الى جانب أن أغلب أراضيها صحراوية. لكن السبب الأهم هو ان الصومال ككل بلد استراتيجي ولعل أكبر دليل على ذلك اعلان الولايات المتحدة في فيفري 2024 عن انطلاقها في بناء 5 قواعد عسكرية جديدة للجيش الصومالي. لذلك فإن اعتراف أية دولة بصوماليلاند سيغضب موقديشو وطبعا حلفاءهم الامريكان ولذلك طلبت اثيوبيا في مرحلة اولى من الصومال تمكينها من منفذ بحري لبناء ميناء تجاري واخر عسكري لكن موغديشو رفضت.

فماذا دفع مصر للنزول عسكريا بالصومال؟

الحقيقة أن السبب هو رئيس وزراء أثيوبيا أبي أحمد الذي أدى مع بداية هذا العام زيارة الى صوماليلاند وأبلغ مسؤوليها بأن بلاده ستعترف بدولتهم معلنا عن تعيين سفير لدولته بها وتم توقيع مذكرة تفاهم في الغرض لا تعدو أن تكون سوى اتفاق نوايا خال من كل التزام حسب ما ذكرت الـ «بي. بي. سي» و»سي. أن. أن» ممّا يعني انه مخالف للقانون الدولي وذلك مقابل تمكين صوماليلاند أثيوبيا من منفذ بحري لأنها بلاد حبيسة ليس لها أي منفذ على بحر أو محيط. المنفذ البحري المطلوب هو عبارة عن 20 كلم من ساحل البلاد وذلك بعد ان سبق لاثيوبيا في عام 2019 ان استأجرت 19 ٪ من ميناء بربرة لمدة 50 سنة. وتعتزم ان تبني في الـ 20 كلم التي تحصلت عليها من حكومة صوماليلاند قاعدة عسكرية بحرية.

السؤال هنا هو هل دفعت أثيوبيا مثلا أموالا لانعاش اقتصاد صوماليلاند مقابل الحصول على منفذ بحري؟.. لا وإنما كان كل ما في الامر وعودا فارغة... ووفق الـ «بي. بي. سي» مكنت اثيوبيا صوماليلاند من نسبة من أسهم شركة الطيران الاثيوبية التي تعتبر من انجح شركات الطيران في القارة الافريقية مرة أخرى : ما دخل مصر في الموضوع؟

التمعن في سياسات وتصرفات رئيس وزراء اثيوبيا آبي أحمد كفيل وحده بالكشف عن نوايا الرجل تجاه مصر بل وأعماله العدائية ازاءها : فالرجل الذي يسوق في خطاباته انه رجل سلام أقام سدّ النهضة وبات يهدّد الأمن القومي المصري عبر التلويح بتعطيش شعبها وإيقاف عجلة دوران اقتصادها وتعطيل مرافق الحياة بها (فلاحة – صناعة – سياحة – تزويد قواتها المسلحة...).

ثم ان «شراء» منفذ بحري لاقامة قاعدة عسكرية يثير لدى المصريين تساؤلات حول وجود نوايا خبيثة باعتبار أن الحصول على منفذ بحري لدفع التجارة مثلا لا يتطلب عسكرته خصوصا

بالنظر الى موقعه الاستراتيجي بخريطة المنطقة.

يردّ البعض ومنهم الخصوص الاثيوبيون أن عدة أسباب وراء اقدام آبي أحمد على هذه الخطوة أولها أن بلاده تريد ضرب الحوثيين في اليمن أو فرض الأمن في باب المندب حجته في ذلك ان يظهر للعالم أن بلاده قادرة على تحقيق ما عجزت عنه أمريكا وبريطانيا وفرنسا وان وشنطن عندما ترى ذلك ستمكن بلاده من تمويلات لاقتصاد بلاده في أشد الحاج اليها.

الأمر الثاني يتعلق بالنوايا. فالرجل الذي بنى سد النهضة يريد السيطرة على باب المندب وبالتالي الحصول على منفذ لقناة السويس المصرية ولا يمكن لمصر السكوت على خطوته الجديدة اذ هو يواصل التجرأ عليها بعدما سكتت على قضية سد النهضة وها هو يفتح الباب بقرار بناء قاعدة عسكرية تطل على باب المندب وتهدد سلامة المرور منه أمام امكانية تجرؤ بقية الدول الافريقية عليها.

لذلك فتحت مصر قنوات اتصال مع حكومة الصومال الشرعية التي لم تتأخر في التعبير عن عدم رضاها على منح بلاد صوماليلاند (أرض الصومال) اثيوبيا منفذا بحريا لبناء قاعدة عسكرية. ووصفت موغديشو ذلك العمل بالعدواني. وهنا أبلغت القاهرة حكومة الصومال بأنه يمكن الاعتماد عليها في هذه المسألة. لكن المشكلة ان للصومال اتفاقية دفاعية مع تركيا تملك بمقتضاها أنقرة قاعدة عسكرية كبيرة بالبلاد لتدريب الجيش الصومالي الى جانب اتفاقية اقتصادية فماذا سيدفع الصومال الى التعويل على مصر؟ السبب ان موقف تركيا من اثيوبيا غامض وأن اردوغان لم يرد سابقا بشكل واضح على اتصالات آبي احمد المتعلقة باعلامه بنيّة بلاده الحصول على منفذ بحري في صوماليلاند وبناء قاعدة عسكرية به الشيء الذي أدى الى سأم الصومال من نوايا تركيا الغامضة خصوصا بشأن احتمال اعتداء اثيوبيا عليها.

وهكذا تحوّل الرئيس الصومالي منتصف شهر أوت المنقضي الى القاهرة ووقع مع مصر بروتوكول تعاون عسكري فعّلته القاهرة قبل نهاية الشهر بثلاثة أيام وارسلت الى الصومال أسلحة ثقيلة مصحوبة بآلاف الجنود دفاعا عن مصالحها وعن أمنها القومي.

وكان الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي قد مهّد لبروتوكول التعاون المذكور خلال ادلائه في شهر جويلية الماضي بتصريح أكد فيه أن علاقات بلاده بالصومال «تاريخية وممتدة منذ سنوات».

وأشار السيسي الى ان الاتفاق الذي تم بين وزيري دفاع البلدين «يصب في هذا الاطار» مؤكدا على أن بلاده لا تتدخل في شؤون الدول الأخرى وانها تتصرف في ظل احترام القانون الدولي والأعراف الدولية وسيادة الدول».

هل ننتظر اذن مواجهة عسكرية مصرية – أثيوبية على أرض الصومال؟ قد يبدو السؤال لأول وهلة غريبا لكن الغرابة تتبدّد إذا علمنا انه توجد فعلا قوات اثيوبية في الصومال في اطار القوة متعددة الجنسيات التي أنشئت بطلب من الاتحاد الافريقي لمحاربة المتشددين في الصومال وحفظ الامن والاستقرار الى جانب قوات اخرى لمواجهة «حركة الشباب» الصومالية.

وقد تم تشكيل هذه القوة نتيجة ضعف الجيش الصومالي.

بعد توقيع بروتوكول تعاون عسكري بين القاهرة وموغديشو، طلب الصومال من الاتحاد الافريقي إعادة تشكيل القوة متعددة الجنسيات وخرج مستشار الامن القومي الصومالي ليطالب بعدم ضمّ القوة المذكورة جنود اثيوبيين وبمغادرة الموجودين منهم البلاد في اجل لا يتعدى نهاية هذا العام.

هذا لا يعني ان القوات المصرية المتواجدة في الصومال ستدخل في حرب مع «حركة الشباب» الصومالية لأن تمركزها سيكون على الحدود مع اثيوبيا.

في الأثناء نقلت إذاعة «بي بي سي» عن وزير خارجية جيبوتي تأكيده أن بلاده اقترحت على اديس ابابا – في سعي لسل فتيل الازمة – منفذا بحريا هو ميناء تاجورا الذي لا يبعد عن الحدود الاثيوبية سوى 100 كلم وان بامكان اثيوبيا استغلاله. واضافت «بي بي سي» ان وزير خارجية اثيوبيا رحب بالامر وانها عندما سألت وزير خارجية جيبوتي عما ان كانت بلاده اقترحت على اديس ابابا اقامة قاعدة عسكرية بالميناء المذكور اجاب بالنفي الشيء الذي يعني ان اثيوبيا سترفض عرض جيبوتي لأن هدفها الحقيقي هو بناء قاعدة بحرية عسكرية لمحاربة الحوثيين في اليمن اضافة الى امكانية تهديد قناة السويس المصرية عبر السيطرة على باب المندب.

الثابت ان ارسال القاهرة الاف الجنود ومعدات ثقيلة الى الصومال ليس لمحاربة «حركة الشباب» لأن هذه الاخيرة مجرد ميليشيا خفيفة التسليح.

فهل حُكم على مصر خوض حرب ضد اثيوبيا؟ يبدو أن السيناريو المرسوم يسير في هذا الاتجاه. اما لماذا فلأنه اذا لم تخض مصر هذه الحرب ستجد نفسها في يوم من الأيام بلا ماء ولا كهرباء. ثم انها اذا لم تخض هذه الحرب ستصبح مهددة بفقدان السيطرة على قناة السويس باعتبار ان ذلك يستوجب السيطرة على باب المندب وعلى حركة مرور السفن منه. كما ان بقية الدول الافريقية قد تتحالف مع اثيوبيا باعتبارها دولة في طريق نمو كبير واقتصاد مزدهر ونجحت في تحقيق تمدد استراتيجي.

أما اذا خاضت هذه الحرب وكسبتها فستعيد بذلك التواجد العسكري الى منطقة القرن الافريقي بعد خلوّها منه منذ حوالي 40 سنة. كما ستستعرض بذلك مصر عضلاتها وتفهم دول المنطقة أنها لا تتسامح مع تهديد أمنها القومي.

ثم ان مصر ستصبح بذلك أقرب الى أثيوبيا من أي وقت مضى. فأديس ابابا استغلت الحرب الاهلية الدائرة بالسودان واعتقدت ان هواجس الجيش المصري من هذه الحرب اكبر من أن تجعله يفكر أو يخطط للردّ على تصرفاتها المعادية لمصر.

سيناريو الحرب وارد جدا وقد عبرت اديس ابابا عن غضبها على ارسال مصر قوات عسكرية الى الصومال وشرعت في تعزيز حشودها العسكرية على حدود الصومال بعدما ارسلت قبل ذلك نحو 20 ألف جندي تزامنا مع اعلانها عن تعيين سفير لها بـ «دولة صوماليلاند» في مخالفة فاضحة للقانون الدولي مؤكدة انها «لن تبقى متخاذلة» حسب ما نقل موقع «Somali Guardian» فيما اعتبر رئيس اقليم «صوماليلاند» ان ارسال مصر قوات عسكرية الى الصومال يمثل «تهديدا لاستقرار المنطقة وتقويضا لجهود السلام».

وحتى تكتمل الصورة يبدو ان اطرافا خارجية تحرك خيوط اللعبة التي تلعبها اثيوبيا بغاية جر مصر الى حرب بعيدة عن اراضيها واجوائها من المنتظر ان تخوضها اثيوبيا بالوكالة عن الاطراف المشار اليها في محاولة لاستنزاف الجيش المصري من جهة وربما توريطه في مستنقع لم يعد له الحساب الكافي بعد اغراق السودان الذي يمثل عمقا استراتيجيا لمصر في حرب اهلية دامية.

ولا غرابة في سيناريو مماثل خصوصا بعدما اشار الاعلام الاسرائيلي لهذا العام اكثر من مرة الى «تنامي قوة الجيش المصري بشكل مقلق» وضرورة ان «تقرأ اسرائيل حسابا لذلك».

زيادة على ذلك وفي علاقة بالتوتر الذي ميز منذ ما لا يقل عن 3 سنوات العلاقات المصرية الاثيوبية بسبب ازمة سد النهضة يرجح عديد الخبراء والمحللين الاستراتيجيين الدوليين وقوف تل أبيب وراء عدوانية وتعنت رئيس حكومة اثيوبيا. ويشير هؤلاء الى ان اسرائيل شرعت منذ مدة في عمليات حفر قناة بن غوريون كبديل عن قناة السويس المصرية معتبرين وجود مخطط يقتضي السيطرة على باب المندب والتحكم بالتالي في حركة مرور السفن عبر قناة السويس ومطالبة مصر بعد ذلك بدفع اتاوات مقابل السماح بمرور السفن او اغلاق حركة المرور في وجهها اذا رفضت القاهرة .

ومما يعزز احتمال وقوف اسرائيل وراء تآمر اثيوبيا على مصر امدادها أديس ابابا منذ سنوات بمنظومة صواريخ دفاع جوي متحركة من نوع «سبايدرز» من صنع شركة رافائيل الاسرائيلية تم نصبها حول سد النهضة بعد صدور تهديدات مصرية بهدم السد ان لزم الامر إذا أصرت اثيوبيا على تخفيض حصة مصر من مياه النيل. وقد خرج منذ يومين رئيس الوزراء الاثيوبي آبي أحمد ليعلن رفض بلاده حاليا مدّ مصر والسودان بنصيبهما من مياه السدّ رافضا فتح بواباته وممعنا في استفزاز القاهرة والخرطوم الشيء الذي دفع مصر الى اللجوء الى مجلس الأمن الدولي قبل اتخاذ اجراءات أخرى.

كعرب... يا لنا من موتى !!

نبيه البرجي

كثيرة هي الرؤوس العائمة التي تبشرنا، بكل ما أوتيت من الصراخ، بأن الأمبراطورية الأمريكية على قاب قوسين أو أدنى من السقوط، كما لو أننا لسنا الدول الرثة والشعوب الرثة، بتفككنا القبلي أو الطائفي أو الأخلاقي.

لا شك أن مصير أمريكا في الداخل الأمريكي، لا بأيدينا ولا بأيدي غيرنا. دورية "فورين أفيرز" وغيرها من دوريات النخبة، بدأت تحذّر من الغروب الأمريكي. الباحثة ايمي زيغارت تطرقت في مقالة مطولة في الدورية اياها، الى "أسباب اضمحلال القوة الأمريكية التي كانت المعرفة أبرز الأسس التي قامت عليها". لتضيف "لقد خارت قوى هذه الأمبراطورية عندما فقدت المعرفة".

الباحثة في معهد هوفر وفي معهد الذكاء الاصطناعي بجامعة ستانفورد، لاحظت أن "قوة الأمم ظلت تنبثق على مدى قرون، من موارد ملموسة يمكن للحكومات ادراكها وقياسها والتحكم فيها. أما اليوم فهي من الموارد غير الملموسة، مثل التقنيات التي تعمل على تفعيل النمو الاقتصادي، والاكتشافات العلمية، والامكانات العسكرية مثل الذكاء الاصطناعي، مما يجعل صعباً على الحكومات السيطرة على هذه الموارد بسبب طبيعتها، وسهولة انتشارها عبر القطاعات وعبر الحدود".

للمثال، الأمريكيون لا يستطيعون استعادة المعرفة التي اكتسبها مهندس بيولوجي صيني من أبحاث ما بعد الدكتورا التي أجراها في الولايات المتحدة، لتخلص زيغارت الى "أن المعرفة هي السلاح المتنقل الأكثر تأثيراً".

الباحثة تحدثت عن الاحتقان المالي الذي تواجهه الادارات الأمريكية، والذي بدأت نتائجه تنعكس على الايقاع التكنولوجي، لا سيما في ما يخص أنظمة الأسلحة الضخمة الباهظة التكلفة، مما يستدعي من صانعي السياسات التفكير في طريقة جديدة حول البدائل التي تشكل القاعدة الفلسفية والعملانية للقوة الأمريكية.

رأت أن الانتشار الأمريكي حتى في ثنايا الكرة الأرضية، تأتّى عن التداخل الديناميكي بين القوة الصلبة (الأرمادا العسكرية والاستخباراتية) والقوة الناعمة (أسلوب الحياة Lifestyle). الآن هناك مشكلة في مجال الابداع.

هنا نقطة ضعف في الأسطورة الأمريكية، والذي قد يفضي الى اخراج الولايات المتحدة من مقصورة القيادة مع التطور المثير في التكنولوجيا الصينية والهندية، وحتى في دول أقل حجماً بكثير، نتيجة التداعيات العاصفة على صعيد المعادلات والعلاقات بين دول العالم.

كلام عن حتمية الانحسار الأمريكي في الشرق الأوسط، بعدما كتب الكثير عن أن الجميع سواء حلفاء أم أعداء في هذه المنطقة، يعملون بصراعاتهم العبثية، سواء كانت بخلفية أمبراطورية أم بخلفية قبلية، لحساب أمريكا. وحين تهتز أمريكا أو تتصدع في الداخل، لا بد أن تهتز أو تتصدع في الخارج.

أسئلة قلقة بدأت تظهر في الشرق الأقصى وفي الشرق الأوسط، حول تداعيات أي تراجع في القوة الأمريكية. "اسرائيل" الأكثر حساسية حيال المسألة. الغروب الأمريكي يعني الغروب "الاسرائيلي"، هذا ما حذر منه اليساري يوري أفنيري أن "لا تكون دولتنا الابنة الهجينة لأمريكا".

ولكن كم من عرش عربي سيظل على حاله اذا تغيرت المسارات الاستراتيجية في المنطقة، التي عجز أركانها عن التمثل بالمناطق الأخرى في العالم، وانشاء منظومة اقليمية تقول بالتكامل السياسي والاقتصادي والاستراتيجي، لاحتواء أخطار لا بد أن تنجم عن الصراعات الكبرى حول الشرق الأوسط؟ ماذا عن التكامل التكنولوجي؟ وقد استنفدتنا ثقافة الحلال والحرام بتلك الشعائر، والطقوس التي تعود بنا الى العصر الحجري، حتى لتشعر بالغثيان من كلام بعض الفقهاء بالتأثير الصاعق على الأدمغة، والذي يتوجه الينا كقطيع من السلاحف البشرية لا ككائنات بشرية.

كلبنانيين وكعرب هل يمكن أن نتغير ونخرج من عالم الأقبية أو من عالم الأبراج، لنباشر البحث عن أفق مشترك كورثة لتراث فذ ظل يتآكل ونتآكل معه على امتداد ألف عام؟

سواء بقيت أمريكا أم ذهبت، بقيت "اسرائيل" أم زالت، كعرب يا لنا من موتى!! موتى بخمس نجوم...

وانكشف مخطط إسرائيل لقطاع غزة

بقلم : مايك ويتني

تقوم الوحدة 601 من سلاح المهندسين في الجيش الإسرائيلي باستصلاح شريط واسع من الأرض في وسط غزة، بما يقسم الإقليم البالغ طوله 40 كلم إلى قسمين. وسيتيح ممر نتساريم (الطريق 749) الذي يمتد من شرق قطاع غزة الى غربه للقوات الإسرائيلية في المنطقة الانتقال بسرعة أكبر. كما سيكون عنصرًا أساسيًا في الحزام الأمني الإسرائيلي الذي يفصل الشمال عن الجنوب. ولا شك في أن نقاطًا عسكرية ستُنشأ على طول الممر وكذلك على الساحل الغربي. أما هدف هذه الإجراءات فهو حماية تطوير المستوطنات الجديدة التي ستُبنى شمال الممر. باختصار، تستخدم الحكومة الإسرائيلية حربها على حماس لتحويل الانتباه عن هدفها الحقيقي، وهو توسيع الدولة اليهودية على حساب الأراضي الفلسطينية.

لا غرابة في أن الأنشطة الإسرائيلية في الشمال أدت إلى عمليات إجلاء جماعي زادت من معاناة السكان المصدومين. ووفقًا لجريدة «الكرونيكل الفلسطينية»»أعلنت الأمم المتحدة منذ أسبوع أن إسرائيل أصدرت ثلاث أوامر إخلاء جديدة لأكثر من 19 حيًا في شمال غزة ودير البلح، ليبلغ عدد أوامر الإخلاء الجماعية 16 أمرا خلال شهر أوت المنقضي وحده، مما يترك 11% فقط من قطاع غزة غير مشمول بأوامر الإخلاء».

ومثلما أشرنا الى ذلك سابقا، يتم طرد الفلسطينيين من الشمال لإفساح المجال للمستعمرات الجديدة التي سيتم بناؤها في المستقبل القريب. ويعمل ممر نتساريم كمنطقة عازلة حاسمة تفصل المستعمرات الجديدة عن هجمات محتملة من طرف رجال المقاومة. وتعتزم إسرائيل الحفاظ على سيطرتها على غزة عبر فرض قيود على حركة المرور وتحديد المناطق التي يمكن للفلسطينيين التجمع فيها. بعبارة أخرى، سيكون الفلسطينيون لاجئين في بلدهم الخاص. وقد جاء في مقتطف من مقال على موقع «وورلد سوشاليست ويب سايت»:

«أصبح سكان غزة، الذين كان يتجاوز عددهم مليونيْ نسمة قبل بدء الإبادة الجماعية، محصورين الآن في منطقة لا تتجاوز مساحتها 41 كيلومترًا مربعًا، أي 11% من إجمالي مساحة غزة، بينما تخضع الـ 89% المتبقية لأمر الإخلاء من قبل الجيش الإسرائيلي.

لقد أطلقت الأمم المتحدة تحذيرًا يقول «تفتقر المنطقة إلى البنية التحتية والخدمات الأساسية، بينما يتم تقليص توفير المساعدات بسبب مشاكل المرور والأمن. لقد زادت الكثافة السكانية العالية، والتي تتراوح بين 30,000 و34,000 شخص في الكيلومتر مربع، من تفاقم النقص الحاد في الموارد الأساسية مثل الماء، والصرف الصحي، والنظافة، والخدمات الصحية، والحماية والملاجئ».

ويتلخص مخطط نتينياهو في:

1 تقليص معسكر الاعتقال في غزة إلى 11% فقط من حجمه الأصلي.

2 نقل السكان إلى الأماكن المحددة.

3 تقسيم الإقليم للسماح بإنشاء مستوطنات ومصادرة احتياطيات الغاز قبالة الساحل.

4 تحييد أية معارضة للتوسع الإسرائيلي.

وقد كشف تقرير بثته القناة 14 الإسرائيلية أن اسرائيل تعمل بشكل حثيث ليس على إقامة منطقة أمان حول كامل قطاع غزة فحسب، وانما أيضًا على إنشاء منطقة عازلة مسطحة بالكامل في جنوب مدينة غزة، وطرق عرضية تقسم قطاع غزة إلى قسمين.

ومن المثير للدهشة، أن مقالًا نُشر يوم الأربعاء 28 أوت المنقضي على شبكة CNN يؤكد تحليلنا ويعترف بأن خطط إسرائيل لما بعد الحرب تتضمن «تقسيم القطاع إلى قسمين» والحفاظ على «نقطة دعم عملياتية دائمة في المنطقة». رغم أن الكاتب لا يشير الى نظريتنا حول تطوير المستعمرات، فإنه يمكن للقراء استخلاص استنتاجاتهم الخاصة. ذلك انه لا يمكن لاسرائيل استثمار مثل هذا المبلغ الكبير من المال والجهد في عملية لن توسع حدود الدولة الإسرائيلية. وفي هذا الصدد تقول CNN: «كشفت صور فضائية التقطت يوم 6 مارس المنقضي ان الطريق الشرقي الغربي، الذي يُبنى منذ أسابيع، يمتد الآن من المنطقة الحدودية بين غزة وإسرائيل إلى كامل القطاع الذي يبلغ عرضه حوالي 6.5 كيلومترات، والذي يفصل شمال غزة، بما في ذلك مدينة غزة، عن جنوب القطاع. (...)

ونقلت CNN عن الجيش الاسرائيلي انه يستخدم هذا الطريق «لإقامة (نقطة دعم عملياتية في المنطقة)» وتمكين «مرور القوات وكذلك المعدات اللوجستية». (...)

وقد كشف رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في 23 فيفري 2024 خلال اجتماع مجلس الأمن الاسرائيلي عن خطة، حصلت عليها CNN، لمستقبل القطاع بعد «حماس» في غزة، بما في ذلك «نزع سلاحه بالكامل» وإعادة تصميم أنظمته الأمنية والإدارية والتربوية. ويخشى الفلسطينيون الذين يعيشون في غزة أن تقيد خطط الأمن الاسرائيلية لما بعد الحرب حريتهم في الحركة بشكل أكبر...».

يجدر التذكير بأن هذه التطورات تحدث بينما يقوم الدبلوماسيون الإسرائيليون حاليًا بإجراء مفاوضات لوقف إطلاق النار في القاهرة. لماذا ستيقبل «حماس» اتفاقًا مع إسرائيل بينما تقوم الأخيرة بانتزاع أراضٍ فلسطينية جديدة وتعزيز قبضة الاحتلال؟

لن تقبل حماس بذلك، مما يعني أن حمام الدم سيستمر في المستقبل القريب. لا خيار آخر لدى حماس. وفي ما يلي مقتطف من مقال للكاتب أنتوني لوينشتاين في هذا المعنى:

«هدف إسرائيل في غزة هو احتلال طويل الأمد وبناء مستعمرات صغيرة، تتحول تدريجياً إلى شيء أكبر بكثير». أما رئيس تحرير هآرتس فيقول :»يتركز الخطاب العام في إسرائيل على الرهائن ومصيرهم، لكن نتنياهو يعتبرهم مصدر إزعاج إعلامي وكبش نطاح في يد معارضيه السياسيين، ومحاولة الزوغان عن الهدف: احتلال طويل الأمد لقطاع غزة، أو - كما عبر عن ذلك مرارًا منذ بداية الحرب - «السيطرة الأمنية الإسرائيلية». «التحكم في طريق فيلادلفيا و»ممر الأمان» على طول الحدود يتيح لإسرائيل محاصرة الحدود البرية لغزة وعزلها عن مصر. السيطرة عبر طريق نتساريم فعلياً على شمال غزة، حيث لا يتبقى سوى عدد قليل من الفلسطينيين الذين دمرت منازلهم وبنيتهم التحتية، وفصله عن الجزء الجنوبي للقطاع الساحلي، الذي يفيض باللاجئين القادمين من جميع أنحاء القطاع».

«فعليا، يتم إعداد اتفاق طويل الأمد لـ»اليوم التالي». ستسيطر إسرائيل على شمال قطاع غزة وتطرد الـ 300,000 فلسطيني المتبقيين هناك. ويقترح الجنرال جيورا إيلاند، منظّر الحرب، تجويعهم أو نفيهم لهزم «حماس». اما اليمين الإسرائيلي فيميل إلى استعمار يهودي للمنطقة، التي تحتوي على إمكانات عقارية واسعة بفضل تضاريسها المواتية، وإطلالتها على البحر وقربها من وسط إسرائيل».

«وتظهر تجربة 57 عامًا من احتلال الضفة الغربية والقدس الشرقية أن هذه عملية طويلة تتطلب صبراً وقدرة على المناورة الدبلوماسية... لن يتم بناء أية مدينة يهودية كبيرة في غزة في المستقبل القريب، لكن التقدم سيُحرز هكتارا بعد هكتار، منزلًا متنقلًا تلو الآخر، نقطة أمامية تلو الأخرى - تمامًا مثلما حدث في الخليل. إلون موره ومزرعة جيلاد. «سيتم ترك جنوب قطاع غزة لـ»حماس»، التي ستتعامل مع السكان الفقراء تحت الحصار الإسرائيلي، حتى عندما يتجاهل المجتمع الدولي القضية وينتقل إلى أزمات أخرى. يعتقد نتنياهو بثقة أنه بعد الانتخابات الأمريكية، ستتقلص تأثيرات المتظاهرين المؤيدين للفلسطينيين على السياسة الأمريكية، حتى لو فازت نائبة الرئيس كامالا هاريس». - هآرتس

مثل العديد من المحللين الآخرين، كنت مخطئًا تمامًا بشأن نوايا إسرائيل في غزة. بعد أن دمرت مدينة تلو الأخرى من الشمال إلى الجنوب، افترضت أنه كانت لنتنياهو خطة لفتح ثغرة في ممر رفح ودفع مليوني فلسطيني إلى صحراء سيناء. أرى الآن أنني كنت مخطئًا؛ لم يكن هذا هو المخطط. قد تكون هذه الاستراتيجية الأولية، لكن الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي نشر وقائيًا جزءًا كبيرًا من جيشه على الحدود لمنع إسرائيل من تنفيذ خطتها للتطهير العرقي. انظر إلى العناوين:

- «مصر تنشر 40 دبابة لتعزيز الحدود مع غزة بينما تلوح عملية رفح (تايمز أوف إسرائيل). وتُظهر الصور الأسلاك الشائكة والتحصينات الممتدة الى جانب سيناء من الحدود. وتخشى القاهرة من أن يسعى سكان غزة للجوء إلى القوات الإسرائيلية عند محاولة العبور إلى مصر.

- «مصر تنشر قوافل عسكرية على الحدود مع غزة بينما تتصاعد التوترات مع إسرائيل، (ميدل إيست آي).

- تم رصد مدرعات لنقل الجنود متوجهة إلى حدود مصر مع غزة، بينما يلمّح الرئيس السيسي إلى أن إسرائيل «في حالة جنون».

- «مصر تعزز الأمن على الحدود بينما تقترب الهجوم الإسرائيلي على غزة، (رويترز)

- مصر تنشر دبابات بالقرب من غزة قبل الهجوم الإسرائيلي على رفح (رويترز)

- صور حديثة تظهر تكثيف التحصينات، بما في ذلك الأسلاك الشائكة والحواجز الموسعة على طول حدود سيناء مع غزة، (i24 News)

- «لماذا لا تسمح مصر للفلسطينيين الضعفاء بعبور حدودها؟»،(NPR)

ربما يكون نتنياهو قد تخلى عن خطته الأصلية للتطهير العرقي لتجنب صدام حقيقي مع مصر؟ لا نعرف. ولكن ما نعرفه هو أن الهدف النهائي لإسرائيل في غزة أصبح الآن واضحًا. ستحتل المنطقة الواقعة شمال الممر بمستوطنين ملتزمين بالمثال الصهيوني، بينما سيُترك السكان الأصليون في بؤسهم بقرى مؤقتة من الخيام، معزولون عن العالم الخارجي.

المصدر: The Unz Review

موقف

صحيفة New ERA الناميبية كشفت أن وزيرة العدل ايفون دوساب أصدرت الى إدارة الموانئ بالبلاد تعليمات تقضي بمنع رسوّ السفينة "كاثرين" التي تحمل على متنها أسلحة وذخائر موجهة الى إسرائيل.

الصحيفة نقلت عن الوزيرة قولها : "سياستنا على المستوى الوطني متطابقة مع التزاماتنا ذات العلاقة بالقانون الدولي ومع موقفنا السياسي المعروف في ما يخص قضية فلسطين".

الوزيرة أضافت : "منع السفينة من الرسوّ بموانئنا يتماشى مع واجبنا بألاّ ندعم أو نشارك في جرائم الحرب الإسرائيلية وهي جرائم ضدّ الإنسانية وتمثل الى جانب احتلال فلسطين جرائم إبادة جماعية".

الصحيفة أشارت الى أن تحقيقا أجرته سلطات البلاد أثبت أن السفينة كانت تحمل متفجرات موجهة لإسرائيل.

في قفص الاتهام

المحامي الفرنسي إسماعيل بوجكادا رفع الى النائب العام قضية بحاييم كورسيا، كبير حاخامات فرنسا وفقا للمادة 40 من قانون الإجراءات الجنائية بتهمة دعم وتمجيد جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الإبادة الجماعية التي اقترفتها ولا تزال إسرائيل ضد سكان قطاع غزة.

واعتبر المحامي أن تصريحات كورسيا لشبكة BFMTV تشكل انحرافا خطيرا عن دستور ومبادئ الجمهورية الفرنسية مطالبا العدالة بمعالجتها بأقصى درجات الصرامة.

وكان الحاخام قد دافع في حوار أجرته معه الشبكة المذكورة عن جرائم إسرائيل مؤكدا أنه "لا يمكنه ادانتها لأن الأمر ليس من نفس المستوى بالنظر الى الخسائر التي تكبدتها إسرائيل" مقلّلا من شأن الـ 40 ألف شهيد فلسطيني مقارنا العدد بـ 1200 قتيل إسرائيلي مضيفا ان "الجميع سيكونون سعداء بأن تنهي إسرائيل العمل".

منصّة رقمية للإعلام

موقع Afrique Media كشف أن تحالف دول الساحل الذي يضمّ النيجر ومالي وبوركينا فاسو قرّر فرض سيادة

الدول الثلاث على وسائل الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي.

الموقع أشار الى أنه يتم حاليا في هذا الاطار إقامة منصة رقمية تضمّ شبكة البثّ التلفزي عبر الانترنت ينتظر أن ينطلق عملها فعليا يوم 16 سبتمبر الجاري.

وذكّر الموقع بأن اجتماعا ضمّ يومي 22 و23 أوت المنقضي وزير الاتصال المالي بخبراء من بلاده ومن بوركينا فاسو والنيجر وبأنه تم خلاله رسم خطط لمنصّات رقمية معترف بها من طرف الدول المذكورة وتضمّ كذلك مواقع التواصل الاجتماعي مؤكدا أنه سيتم انشاؤها لـ "تعزيز مصداقية تحالف دول الساحل على الصعيد الدولي".

ولاحظ الموقع أن التلفزات الرسمية لدول التحالف شرعت منذ مدة في بث نشرات خاصة بمالي والنيجر وبوركينا فاسو وذلك في اطار محاربة الاخبار الكاذبة.

صحيح؟

موقع "الشبكة العالمية" نقل عمّا وصفه بإشاعات أن الامارات العربية المتحدة قد تكون جمّدت فجأة صفقة بقيمة 10 مليارات من الدولارات مع فرنسا من المنتظر أن تشتري بمقتضاها 80 مقاتلة. أما السبب فقد ذكر الموقع أن قرار الامارات جاء بعد إيقاف ر.م.ع منصة "تلغرام" بافل دوروف اثر حلوله بفرنسا وأن الرجل يحمل جنسية مزدوجة إماراتية – فرنسية.

"الشبكة العالمية" اشار الى أن إيقاف دوروف تسبّب أيضا في توجيه موسكو إنذارا الى باريس لفتت فيه انتباهها الى وجوب تمتيعه بكل حقوق أي متهم إضافة الى تصريح مالك منصة X، أيلون ماسك بأنه تم بإيقاف دوروف النيل من حرية التعبير في أوروبا.

وكتب الموقع معلقا على حادثة إيقاف دوروف : "ان اتهام ر.م.ع. تلغرام بجرائم ارتكبها اشخاص آخرون يستعملون منصته يشبه اتهام صانع أقلام "بيك" بإصدار شيكات بلا رصيد حرّرها أناس آخرون ورغم أنه لا علاقة بين الشيئين"

واستدرك الموقع : "لكن الحقيقة أن السلطات الفرنسية وبلدان غربية أخرى لا تستسيغ عجزها عن إمكانية التجسس على مستعملي "تلغرام" ولذلك لجأت الى اتهام ر.م.ع الشركة بـ "التواطؤ" لأنه يرفض إقامة بوابة سرية في تطبيقة تلغرام يسمح للحكومات بالتجسس. والمشكلة اليوم بالنسبة لفرنسا أن حكومات كل العالم تستعمل تلغرام لأنه مؤمن بشكل جيّد جدا وترفض هذه الحكومات أن يطلع الفرنسيون وحكومات غربية أخرى على الاتصالات المشفرة التي تستعملها في التعامل مع بعضها".

وضرب موقع "الشبكة العالمية" مثال دولة الامارات العربية المتحدة مشيرا الى أنها تعتمد بشكل واسع على تلغرام في اتصالاتها العسكرية وترفض بالتالي اطلاع أية جهة عليها.

يشار الى أنه تم بعد مرور 4 أيام على إيقاف دوروف اطلاق سراحه بكفالة في انتظار ما سيقرر قاضي التحقيق في شأنه.

شاهد من أهلها

"وشهد شاهد من أهلها"...

الشاهد هو الجيش الإسرائيلي. أما المسألة فتتعلق باعتداء مجموعة من المستوطنين على أهالي قرية "جيت" الواقعة بالضفة الغربية.

تحقيق الجيش الإسرائيلي في الجريمة خلص الى أن مهاجمة مستوطنين سكان القرية المذكورة مثّل "عملا إرهابيا" على حدّ تعبير قائد القيادة المركزية للجيش.

وحسب خلاصة التحقيق الذي أجراه الجيش "حذّر جهاز الـ "شين بيت" الجيش والشرطة من نية ارتكاب المستوطنين "جريمة قومية" بجهة مستوطنة ينزهار قبل الهجوم على القرية المذكورة وأنه "كان بإمكان الجنود التدخل بأكثر حزم لقمع أعمال العنف".

واعترف الجنرال آفي بلوث قائد القيادة المركزية للجيش، وفق ما نقلت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية بأن الأمر "يتعلق بأخطر هجوم إرهابي من طرف إسرائيليين أقدموا عمدا على الإساءة لسكان قرية "جيت" وفشلنا في الوصول الى المكان في الوقت المناسب لحمايتهم وأتحمل مسؤوليتي الكاملة في ذلك وسأعمل على تحسين طريقة وظروف التدخل عند الحاجة".

«شنغن عسكرية»

المجلس الفيدرالي السويسري أعلن أن بارن قررت التحاق البلاد ببرنامج "سيولة حركة النقل العسكري" الذي تبنّاه الاتحاد الأوروبي تحوّطا لاندلاع حرب بين دول أوروبا الغربية وروسيا وذلك في اطار قرارات القيادة العامة للحلف الأطلسي بما يخوّل لها إمكانية استغلال البنى التحتية اللوجستية المدنية لنقل القوات والمعدات التابعة لها من دول أقصى غرب القارة الى دول الحلف في أوروبا الشرقية القريبة من حدود روسيا.

وحسب البرنامج المذكور يتم حاليا بناء طرقات وخطوط جديدة للسكك الحديدية وجسور وطرقات ثانوية الى جانب توسيع طاقة مهابط المطارات المدنية.

كما انطلقت بالخصوص أشغال إقامة ما يسمى بـ "خط بالتيكا" Rail Baltica الحديدي بطول 870 كلم الذي سيمرّ عبر عواصم كل من استونيا ولوتيفيا وليتوانيا وبولونيا وألمانيا.

ومن المنتظر ادماج فنلندا في البرنامج بما يمكن من ضمان بروز منطقة "شنغن عسكرية" تحت قيادة الحلف الأطلسي.

وحسب موقع TOP WAR تسارعت عام 2023 وتيرة انجاز البرنامج بعدما تم ادراج بولونيا وأوكرانيا ورومانيا ومولدافيا به.

الموقع أشار إلى أن قرار سويسرا أثبت للعالم أن حيادها شكلي مشيرا إلى أن بارن أعلنت في جويلية الماضي عن امداد كييف بالأموال اللازمة لاصلاح خطوط السكك الحديدية التي دمرها الروس والتي تربط البلاد بدول الحلف الأطلسي المتاخمة.

دولة السّودان تنتصر على مؤامرات قوى الشّر العالمية

سودان الشّرف والعزّة والعروبة والإسلام

صلاح بوزيّان

1l لسّودان تنتصر على المؤامرت

إنّا نعيش في عالم اعتاد فيه السواد الأعظم من الشعوب والأمم على الباطل والكذب والخيانة والمكر والاستكبار والرّياء والتّزييف والتّشدّق بالعدل وممارسة الظلم، وإبرام عقود والتزامات ودساتير الحقّ بينما الإنسان في الكرة الأرضية رهين شهوته ونفسه، إنّه مقيّد بشهواته أو تابع لمن يغلبه ويمارس عليه الغلبة، أو يدافع عن حقّه بما أوتي من قوّة ليستعيد حقّه في الحياة، هل الإنسان في مختلف بلدان العالم حرّ آمن محترم ؟ هل الإنسان مكرّم مستمتع بحقوقه حقّ السّكن وحقّ الوطن وحقّ التعبير الحرّ، حقّ المشاركة الحرّة في الاختيارات الفردية أو الجماعية مثل الأنشطة الثقافية أو الاختيارات السياسية أو الاستمتاع بثروات بلاده ؟ لا نعتقد ذلك، إنّ الإنسان ظلمته التقنيات التي أنتجها ارتدّت ضدّه، وجعلته يظلم أخاه الإنسان ويصنّفه وفق مقاييس الدّين والعرق والفقر والجهل، أو يظلمه ظلما من نوع ثان يحتلّ أرضه ويستنزف ثرواته ويسرق هويته ووثائقه وتاريخه، فأصبح الإنسان إنسان الاستهلاك تعميه رغباته وإنسان الاقتصاد تستبدّ به الثروة وإنسان ثروة يبيح لنفسه افتكاك أملاك غيره، وهو إنسان بشتّى التشكّلات سلوكاته متمركزة حول الأنا أو المجموعة التي ينتمي إليها وتقاسمه الغايات والأهداف، ولذلك صار العالم في خطر، شعوب أوروبا تحقّق لها السلطة السياسة الرّسمية كل أسباب الرّفاه وتتحكّم في رقابها فتقيّدها بسلطة الإعلام والاستهلاك والصناعة والإنتاج والمنتوجات والتكنولوجيا، فالإنسان الأوروبي مقيّد لم تفلح ثقافته في تنويره ولم تساهم في إنتاج نخب سياسية تفتقر إلى قيم الإنسانية والعدالة والاحترام للإنسان المتواجد في أقاليم ونواحي من العالم، ولا تنصف قضايا المجتمعات التي تتوق إلى التّحرر والاستقلال الثقافي والاقتصادي والجغرافي. وأنتج هذا التّفاوت في المعاملات وتضارب الأفكار مع السّلوك الحقيقي المباشر خللا في النّظام العالمي وأزمة أخلاق لا غبار عليهما، إنّ الشّعوب شعب أمريكا أو شعوب أوروبا موغلة في الإنسانية متشبّعة بالقيم الإنسانية ولكنّها عاجزة عن ممارسة العدالة الإنسانية في علاقاتها بشعوب أفريقيا أو غيرها من شعوب التّحرر، لأنّها شعوب مكبّلة مقيّدة تتحكّم فيها السياسة الرسمية لدولها، ولذلك نستمع إلى أصوات مناصرة للحقّ صلب المجتمعات الأوروبية مثلا لمناصرة فلسطين، ولكن كان بإمكان هذه الأصوات أن تتحوّل إلى قوّة سلام سياسية داخل مجتمعاتها وتجلب الأنصار من حولها وتقدّم مشاريع تعاون وسلام مع شعوب العالم التي مارست عليها أنظمتها القهر والاستعمار واستنزاف الثروات، يمكن لهذه الطلائع التحررية في أوروبا والغرب أن تنتفض لممارسة إنسانيتها وتمكين المستضعفين في العالم من حقوقهم، وأوّل حقّ حقّ الاحترام فهذه الشعوب التي تعتقد أنّها متقدّمة أنتجت فئات سياسية وجّهت سياسات بلدانها نحو الاستقواء والعداء، وتشتغل ضدّ منطق التّنوع الإنساني التّنوع الثقافي والفكري والحضاري والدّيني، وهي تدّعي أنّها تشجّع هذ التّنوع وتدافع عن حضوضه وتعمل على ترسيخه.

2/ مصائب شعوب العالم: استقواء الإنسان على أخيه الإنسان

إنّ المصائب التي تعانيها شعوب العالم هي من ثمرات استقواء الإنسان الأوروبي المثقّف والإنسان الغربي وصمت الآخرين عن الحقّ وانشغالهم ببناء كياناتهم الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية وهي في عمق أعماقها تسيء إلى إنسانها الصيني والرّوسي والإيراني والهندي والباكستاني والبريطاني والألماني والأسترالي حينما تجعله رهين الرّفاه والإيديولوجيا معانقا لرغباته المجحفة، بعيدا عن آهات ومعاناة الإنسان العربي الفلسطيني بسبب تغطرس الصهاينة، وبمنأى عن حرب الإبادة التي يعانيها الشّعب العربي السّوداني، تقطع عنه الأخبار وتوجّهها إلى الوجهة التي تخدم مصالحها وعلاقاتها مع الصهاينة وأمريكا والقوى الأوروبية الدّاعمة للكيان، وبكيد قوى الشرّ في العالم مافيات الصهيونية والامبريالية اندلعت حروب وانشقاقات وأزمات سياسية وانتشرت الفيروسات وتوسعت موجات الهجرة السّرية، ومن أبشع الحروب الأهلية شراسة وأشدّها فتكا بالشعوب، الحرب الأهلية التي اندلعت في السودان منذ أفريل 2023 إلى حدّ هذه اللّحظة ومازالت متواصلة بين شقّ شرعي يمثّله الجيش السّوداني بقيادة الفريق أول الرّكن عبد الفتاح البرهان، وشقّ ثان مُسمّى الدّعم السّريع برئاسة الخائن الضّال محمد حمدان دقلو حميدتي ومن معه من مرتزقة لقطاء ضالّة آثرت تخريب البلاد وتدمير البنية التحتية والمدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات والمصارف والأسواق، ممّا تسبّب في نزوح حوالي عشرة ملايين سوداني إلى البلدان المجاورة، ويعتبر العدد الأكبر عالميا حسب تقديرات الأمم المتحدة، لقد تورّطت قوات الدّعم السريع القذرة في قتل الأبرياء وتخريب المُدن السودانية واغتصاب النّساء وإفساد المحاصيل الزراعية والأراضي الفلاحية وتهديم المؤسسات والطّرقات وشبكات الكهرباء والغاز والماء، ممّا يكشف عن مخطّط عدواني تحرّكه أيادي خارجية تريد للسودان الخراب والإفلاس والمجاعات والأمراض والمشاكل، وهي في نفس الوقت تنهب ثروات البلاد من ذهب وماء نهر النيل المارّ بتراب السودان . إنّ المؤامرة تكشف عن تفاصيلها كما تكشف عن المتورّطين فيها . فمن هم الأشرارالمساهمون في تأجيج الأوضاع في السودان؟

3/ الصّهاينة كيان متشدّد، سلاحه المال والكيد

لا شكّ أنّ العدو رقم واحد في المنطقة هو الكيان الصهيوني، ويكذب من يتحدّث عن تطبيع مع هذه الفئة البشرية التي لا بشرية لها ولا إنسانية، الفئة الصهيونية الملحدة من أبشع الفئات الآدمية تعصّبا وكُرها للسّلام وتعنّتا ورفضا للحقائق التّاريخية، بل إنّ تشدّد الكيان الصهيوني وممارساته القذرة في العالم تبيّن أنّه متورّط في تنشئة الحركات التكفيرية في العالم، يطلقون اللحى ويندسّون وسط الحمقى والمأجورين ويخرّبون البلدان. والحركات الدينيّة الصهيونية المتشدّدة خطّطت لتأسيس الدولة القومية لليهود، والحال أنّ اليهود في أنحاء العالم متبرؤون ممّا تفعله حكومة الصهاينة من جرائم تقتيل للأطفال والنّساء والشيوخ الأبرياء وتهديم للمنازل والمدارس والمستشفيات في غزة، كما أنّهم متبرّؤون من كذبة دولة اليهود التي أطلقها منظّرو الصهيونية العالمية، فيهود أنحاء العالم أطلقوا تسمية إسرائيل دولة صهيونية لأنّها ليست دولة يهودية أو عبرية، وإنّما هي دولة صهيونية علمانية مقنّعة بالدّين، ولعلّ الأهداف الأربعة التي حدّدتها تكشف : 1/ تحويل الهوية اليهودية إلى ما وراء الحدود القومية القائمة على التوراة إلى هوية على غرار الأمم الأوروبية الأخرى، وهو مشروع ما يسمّى بدولة إسرائيل الكبرى، 2/ نشر لغة محلية جديدة، أي لغة قومية، مؤسسة على اللغة التوراتية والعبرية الحاخامية، 3/ نقل اليهود من بلدانهم الأصلية إلى فلسطين، 4/ تثبيت السيطرة السياسية والاقتصادية على فلسطين.

4/ الكيان الصهيوني، فلسطين.. السّودان

احتلّ الكيان الصهيوني أرض فلسطين العربية، وخاضت القوى العربية التقدمية حربا لاسترجاع الأراضي الفلسطينية، وهي تخوض الحروب متتالية، بينما يخطّط الصهاينة برامج لتدمير الفصائل الفلسطينية المسلّحة والحركات التحررية، وتقويض كل وحدة عربية أو اتّفاق وضرب استقرار البلدان وإثارة الفزّاعات وإشعال الاختلافات وشقّ الصّفوف لأنّ وحدة العرب تقهر حلم الصهاينة وتحبط مشروعها الممتد إلى عديد البلدان العربية وتسقط أطماعها، ولذلك استهدفوا العواصم العربية التي تشكّل ثقلا استراتيجيا عربيا وعالميا لها عمقها التّاريخي والجيوسياسي، ويحاولون تدمير استقرارها لأنّها تنتج قوّة بشرية متعلّمة نُخبًا فكرية برهنة على مهاراتها الفكرية والعلمية والصناعية والسياسية، إنّ الائتلافات السياسية داخل العواصم العربية وتشكّل أيَّ مشروع سياسي وطني وحدوي يرسّخ وحدة الشعب ويهيء الأجواء للتّقدّم والعمل والإنتاج والتنمية، يعتبرها فلاسفة الكيان الصهيوني من قبيل الخطر على كيانه وعلى أهدافه الاستراتيجية المقيتة، ولذلك نرى أيدي الصهاينة تمتدّ بالمال والخديعة وتستعين بالامبريالية العالمية والخونة وضعيفي الأنفس وأعداء العرب القدماء، لتحبط جهود الشعوب العربية في التقدّم وامتلاك أدوات التقدم والتكنولوجيا، وتفسد نظمهم التربوية والاجتماعية والاقتصادية وتحطّم اقتصاداتهم وتدخلهم في دائرة التداين، وتهشّم مشاريعهم وتدمّر كياناتهم وأسباب عيشهم وتحوّلهم إلى متسوّلين عالميين أمام باب الصناديق الدولية التي يتحكّم فيها الصهاينة والامبريالية البشعة الكاذبة. لأنّها قوى تقدّمية أصيلة تشكّل مصدر إزعاج للصهيونية ولمن يدافعون عنها ويمدّون لهم يد العون والدّعم شرقا وغربا، وتنكشف مساهمة هذا الكيان في إخراج مسلسل ما يسمّى بثورة الرّبيع العربي . إنّها قوى غربية ظالمة لحقوق الإنسان تذبح الشرعية الدولية وقيم الإنسانية والعدالة، وهي أنظمة غربية عادلة في شعوبها معتدلة مع شعوب الاتحاد وظالمة لشعوب العالم الثالث أفريقيا ومثلها ومعها، أوروبا لم تتنصّل من الاستقواء وتعاملها مع شعوب أفريقيا بمنطق الخوف من البرابرة، وكأنّ فلسطين والسّودان وسوريا وليبيا وتونس شعوب من درجة ثانية أقلّ حظّا من العقلانية والإنسانية

والتّحضر، فكيف نفسّر جرائم فرنسا في بلدان المغرب العربي التي استعمرتها ؟ وكيف نفسّر جرائم أمريكا في الفيتنام ؟ وكيف نفسّر جرائم قوى الديموقراطية في العراق ؟ وكيف نفسّر جرائم الصهاينة في غزّة وفلسطين عموما ؟ وكيف نفسّر جرائم المتآمرين على السّودان (المكشوفين) ؟ إنّ هذه الأنظمة التي تدّعي الديموقراطية ولا تمارسها في تكريس العدل وحقوق الإنسان تمارس الظّلم داخل المنتظم الأممي وخارجه بالطّعن في قرارات الإنصاف لفلسطين، أنظمة مكشوفة ومفضوحة تدّعي الديموقراطية وتساهم في نشر سلطانها الاستعماري على العالم العربي بأشكال أخرى وتدعم الحركات العابثة الانفصالية التخريبية، فالصهاينة والغرب يدعمان الدّعم السّريع في السّودان ويذكيان قوّته كلّما خاب، وأنظمة عميلة تابعة وضعت أيديها في تخريب العراق وسوريا وليبيا وها هم اليوم يخوضون السوداني، ولكن الجيش السّوداني بقادته وضباطه وجنوده النّشامى يقاتل جيوب الردّة والعمالة ويمزق دفاتر الخونة ويسحق سجلاّت المؤامرات، الجيش السوداني استطاع أن يحبط خيانات الدّعم السّريع/ الجنجويد القذرين، الدّعم السريع الذي اقترف أبشع أشكال العنف فأباد في مدينة جنينة 15 ألف روح بريئة وهي مجزرة تاريخية مسجّلة بالوثائق والصّور والتّسجيلات الصوتية للمواطنين الفارّين من هول المعركة فتيات ونساء وأطفال وكهول ذاقوا جميعا القهر والقمع والعنف الجنسي، إلاّ أنّ جهود الجيش السوداني تتضاعف لتطهير أرض السّودان الطّاهرة من حفنة الأوساخ والخونة، كما يطالب الشعب السوداني بمحاكمة قوى الدّعم السريع وداعميه محاكمة دولية ونشر أعمالهم التخريبية ضدّ بلاد آمنة وشعب مسالم، وكشفت أخبار عن حصول الدّعم السريع على شحنات صواريخ مدفعية 160لار صهيونية الصُّنع، وكلّ مواطن سوداني يخبرك بذلك ويسمّي لك هذه الأنظمة التي أفسدت بلادهم، كما يثنون على دولة قطر الشّقيقة التي مدّت لهم يد العون بالمساعدات في هذه المحنة، ولقد تكرّرت رسائل شكر دولة قطر على دعمها لقوات الجيش السوداني الممثّل الرّسمي الدّولة السودانية بقيادة الرّئيس عبد الفتّاح البرهان. نقرأ ذلك ونسمعه في الأخبار السودانية كلّ يوم .

5/ الحرب الأهلية في السّودان من أجل تهب الذّهب والماء

لقد خاض الصهاينة حرب المياه الاستراتيجية مع العرب، وانطلقوا يحيكون الدسائس ويهندسون البرامج للاستحواذ على مياه نهر النّيل وإضعاف منسوبه المخصّص لمصر والسودان وذلك بغرض تفقير هذه المجتمعات وإفشال مشاريعها الفلاحية والصناعية والتنموية عموما، ممّا يشكّل صعوبات وعوائق تدفع البلدين إلى البحث عن حلول للمحافظة على حصصها من ماء نهر النيل أو إيجاد حلول بديلة للفلاحين المصريين والسودانيين تعوّض النّقص، لأنّ فلاحتهم تعتمد بنسبة 90بالمائة على ماء نهر النيل، فهم يسقون أراضيهم ومواشيهم ويستعملونه في أغراض معاشية شتّى، وقد أدرك العدّو الصهيوني قيمة نهر النيل (طوله 7 آلاف كيلومتر، يمرّ من 10دول أفريقية) في حياة الشعبين العربيين وفي اقتصاديْ بلديهم، ولعلّ بناء أثيوبيا لسدّ النهضة سنة 2011 على النيل الأزرق بولاية شنقول شمال غربي البلاد، ويبعد عن الحدود السودانية حوالي 30كيلومترا، دلالة على التخطيط الصهيوني المدعوم من قوى الامبريالية لاستهداف مقدّرات وثروات الشعب السوداني، ويعدُّ أكبر سدّ لإنتاج الطاقة الكهرومائية في أفريقيا ويحتل المرتبة العاشرة عالميا، وتفوق طاقة إنتاجه 5آلاف ميغاوات، بدعم صهيوني غير معلن، يعدّ دلالة على استهداف الأمن المائي لمصر والسودان، والعلاقة الأثيوبية الصهيونية ليست جديدة فهي تعود إلى ستينات وتعزّزت عندما زار الصهيوني الناتن ياهو أثيوبيا سنة 2016. ولا يخفى عن الحكماء أنّ أهمّ هدف للكيان الصهيوني في علاقته بالعرب هو إبقاء الدّولة العربية والمجتمع ضعيفين، لأنّ قوّتهما تشكّل خطرا على الصهاينة وكيانهم، ولذلك نرى بؤر توتّر في الوطن العربي، حرب أهلية في السودان أوشكت على الانتهاء، وذلك بمؤازرة الشعب للجيش السّوداني ودعم النُّخب الفكرية والسياسية لجهود الجيش لتطهير البلاد من الخونة والعملاء، واختلافات في ليبيا وحرب إبادة يمارسها الكيان الصهيوني اللّعين في غزة وأحوال عربية أخرى متقلّبة، لكلّ حال طعمه ومذاقه، ولكن الأيدي الصهيونية القذرة تحاول كلّ مرّة اختراق الشعوب وإثارة الفتنة وزعزعة الاستقرار الاجتماعي، ويحتاج العالم إلى سلطة أخلاقية ضابطة تحدّ من جرائم الصهيونية، وقد فشلت الثقافة الأمريكية والثقافة الأوروبية في ممارسة سياسة الحوار والانسجام وصيانة حقوق الإنسان ومناصرة الحقّ والعدالة والدّفاع عن سيرورة التّحرّر المجتمعي، فهي داعمة للكيان الصهيوني مستعمر دولة فلسطين والسّاعي إلى اختراق دول وشعوب العالم العربي وإضعافها وإلحاق الهلاك بها ليحقّق أهدافه ويحافظ على عربدته في المنطقة، وهو خطر حقيقي على الحضارة الإنسانية وخطر على مبدأ تقارب وتعايش الشعوب والاستقرار في العالم، وكأنّنا بالكيان الصهيوني بربرية مكشوفة وتوحّش يحتاج إلى توثّب قوى الخير والسّلام في العالم لمواجهة على الانحراف الآدمي البشع .

التقرير الأسبوعي لـ «التونسية للأوراق المالية» :

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

SMART TUNISIE نجم الأسبوع... ICF تقفز وSOTEMAIL تتعثّر

منحى السوق

- رغم دينامية محدودة شهدتها السوق خلال الأسبوع الممتد من 26 الى 30 أوت المنقضي أنهت البورصة نشاطها على نتائج محمودة وأقفل البنشمارك حصة يوم الجمعة الماضي على ارتفاع اسبوعي طفيف بـ 0,5 ٪ ليستقر عند النقطة 9810,38 ليبلغ بذلك أداؤه منذ بداية السنة + 12,1 ٪.

- على صعيد التداولات شهد حجم المبادلات في ظل غياب تبادلات بالكتل تراجعا مقارنة بالاسابيع السابقة جامعة محفظة بـ 20,4 مليون دينار بما مثل حجما يوميا بـ 4 ملايين دينار. وقد كان سهم "سمارت تونس" SMART TUNISIE الأكثر تداولا على امتداد الأسبوع محتكرا لوحده 31,1 ٪ من مجموع حجم التداولات حسب تحليل الوسيط الرسمي ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر والأسهم

- احتل سهم شركة الصناعات الكيميائية للفليور ICF أعلى الترتيب بتحقيق أفضل أداء مسجلا قفزة بـ 22,8 ٪ بسعر 77,500 دينار وسط مدّ مالي بـ 801 ألف دينار.

- كان سهم الشركة التونسية لصناعة الورق SOTIPAPIER من أكبر الرابحين خلال الأسبوع المذكور محققا ارتفاعا بـ 6,8 ٪ بسعر 5,500 دينار جاذبا حجم أموال بـ 253 ألف دينار على امتداد الأسبوع.

- تدحرج سهم الشركة التونسية للتّلا SOTEMAIL الى ذيل الترتيب مسجلا ترجعا بـ - 11,8 ٪ بسعر 1,120 دينار وسط حجم تداولات جملي لم يتجاوز 5 آلاف دينار.

- كان سهم شركة "سمارت تونس" SMART TUNISIE نجم الأسبوع وجمع 6,3 ملايين دينار محتكرا بذلك 31 ٪ من مجموع التداولات ومحافظا على استقرار بسعر في حدود 15,970 دينار.

مستجدات السوق

• ارتفاع احتياطيات العملة الأجنبية الى 115 يوما :

واصل مخزون احتياطيات العملة الأجنبية ارتفاعه ليبلغ 115 يوما بتاريخ 28 أوت 2024. وحسب المعطيات الأخيرة الصادرة عن البنك المركزي بلغ حجم صافي الأصول بالعملة الأجنبية 25379 مليون دينار وفق معهد الإصدار في حين بلغ حجم إعادة التمويل الجملي 13044 مليون دينار في نفس التاريخ.

• شركة أستري للتأمين وإعادة التأمين ASTREE: نشر القائمات المالية اثر نهاية السداسي الأول من 2024 :

بنهاية السداسي الأول من عام 2024، حققت شركة "أستري" مرابيح صافية بـ 18 مليون دينار وذلك بارتفاع بـ 7,8 ٪ مقارنة بشهر جوان 2023. وخلال النصف الأول من السنة الجارية سجل رقم أعمال الشركة التابعة لمجمع البنك التونسي BANQUE DE TUNISIE قفزة بـ 8,6 ليبلغ 160,9 مليون دينار. وبلغت تكاليف الحوادث التي أعلنت عنها الشركة 41 مليون دينار مقابل 46,2 مليون دينار خلال السداسي الأول من عام 2023 وبلغ المدخول الجملي للأموال الموظفة من طرف الشركة يوم 30 جوان من العام الحالي 33,5 مليون دينار مقابل 27,3 مليون دينار يوم 30 جوان 2023.

• التوظيف التونسي Placement de Tunisie : نشر القائمات المالية المتعلقة بالسداسي الأول من عام 2024 :

أظهرت القائمات المالية التي نشرها التوظيف التونسي Placement de Tunisie-SICAF مع نهاية جوان 2024 حصة صافي أرباح بـ 3 ملايين دينار مقابل حصة صافي أرباح بـ 1,5 مليون دينار في نهاية جوان 2023. واثر نهاية السداسي الأول من عام 2024 تضاعفت أرباح "التوظيف التونسي" مقابل الأرباح التي سجلتها الشركة في نهاية جوان 2023 لتبلغ 3 ملايين دينار وذلك بالخصوص بفضل الأرباح المسجلة من طرف شركة MARE ALB الفرع التابع لمجمع Salins ex cotusal.

إشهار

الشارع الثقافي

20 صفحة

العدد 421 - من الثلاثاء 3 إلى الاثنين 9 سبتمبر 2024 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com - البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

الأكاديمية والكاتبة فوزية ضيف الله لـ«الشارع الثقافي» :

نحتاج عودة لصحافة فلسفية على طريقة سارتر وحنا أرنت

تراث غير مادي

«الحايك» لباس المرأة القيروانيّة موروث تقليدي بامتياز مهدد بالإندثار

بقلم : نجيب زرّوق

جامع الأزهر والفضاء الجامعي بمصر ووضع الفكر الفلسفي :

في الريادة والنكوص والحاجة إلى الفلسفة

بقلم : محمّد الكحلاوي

وقفة

المثقف المقاول

بقلم : حسن مرزوقي

فنّ تشكيلي

الرسّام سمير شوشان :

الرّسم نهج المقاومة في تعدّديّة المشغل

بقلم : المنذر العيني

وقفة

المثقف المقاول

بقلم : حسن مرزوقي

في مقال نشره أستاذنا الدكتور الطاهر لبيب بعنوان "ثقافة بلا مثقفين" في مجلة المستقبل العربي منذ أكثر عقدين (عدد 282 سنة 2002) ذكر أربعة أنواع من المثقفين تعيش في الراهن العربي. ومن ميزة هذا الراهن العربي أنه بطيء التحول في مستوى بناه الذهنية على الأقل. فما قيل عنه قبل عقدين قد ينطبق عليه اليوم.

النوع الأول ويسميه المثقف الملحمي وهو الذي تبنّى يوتوبيا مغلقة ويعتبرها إحدى حتميات التاريخ لإحداث التحولات المنشودة. وقد دفع من أجلها ضريبة قاسية تصل إلى القتل أحيانا. وعاش هذا الصنف من المثقفين في الستينات وبداية السبعينات وهو يعتقد أنه يقول للفكرة كن فتكون في مجتمع لم يخلق فقط من الطين والماء وإنما من سلطة أيضا.

المثقف الثاني هو البدائلي الذي انتبه إلى أن الواقع له حتمياته المعاكسة لما قرأه في الكتب فظل يطرح بدائل قابلة للمراجعة ويمكن أن تكون ممكنة التحقق وذلك بإعادة القراءة ولعل مثاله الأبرز حسب لبيب سمير أمين. أما المثقف الثالث فهو المثقف التراجيدي الذي مازال يعتقد أن أطروحته هي الأطروحة الناجية وأن أفكاره مازالت هي الأقدر على الاستمرار رغم أنه يعلم أن لا صدى لما يقوله في الواقع ورغم ذلك يصر على أنه يكتب تاريخا للنجاة.

المثقف الرابع وهو موضوع هذا المقال هو المثقف المقاول. وهي فصيلة من المثقفين تأقلمت سريعا مع قانون الانتخاب الليبرالي الذي يشبه قانون الانتخاب الطبيعي الداروينى. فأخذ هذا المثقف بالمنجز التكنولوجي وتبنى القيم الليبرالية لينخرط سريعا في سوق تباع فيها كل شيء:الذمم والأفكار والبصل وبطاقات العمرة والحج. لم يدّع أنه صاحب مشروع فكري أو إصلاحي.ويرى الطاهر لبيب أن هذا المثقف هو المنتصر فهو الذي وقف على أنقاض الملحمة ليعلن عن انتصاره في حرب لم يخضها.

لنترك المثقف ونتحدث قليلا عن المقاول. ماذا يميز المقال؟ مقاول البناء مثلا يؤمن بالإسمنت ولا يؤمن بالمدينة والتعمير L`URBANISME.المدينة لديه هي جدران وفواتير تدفع. هو رجل الصفقات في كل المدن. يبني مسجدا وهو لا يصلي أو خمارة وهو لا يشرب الخمر ويبني سجنا مثلما يبني مدرسة. يبني ما تفترضه الصفقة وإذا عجز صاحب الصفقة عن الدفع يأخذ آلته ويمضي باحثا عن مدينة جديدة. ويترك ما بناه للريح.يبني دون أن تكون له فلسفة في البناء.

هذه الميزات للمقاول اكتسبتها نخبة من المثقفين أدركت كما السلطة بأن الثقافة بضاعة تباع وتشترى. وقد هيأت الدول الأرضية لثقافة المقاولات إذ سمحت بفضاءات وفتحت مؤسسات لإبرام صفقات مع المثقفين تتمثل في الجوائز الثقافية والمنابر الإعلامية وغيرها.

شاهد هذا المثقف سلفه المثقف الملحمي يتعفن في خيبته وسمع المثقف التراجيدي يهذي في واديه ومرّ من أمام المثقف البدائلي وهو يبحث عن مريدين.كما شاهد أيضا تغول السلطة على الثقافة وانحسار مساحات الحراك المدني الثقافي. وسيطرت الثقافة البراغماتية الخاوية من كل عمق إيطيقي. وعاصر هذا المثقف الانفجار الكوني الإعلامي والذي جعل من أراذل الناس قادة رأي وطمر ميراث كبار الكتاب تحت ركام التفاهة.

تحتاج هذه الفئة دراسات سوسيو-ثقافية معمقة.

وأحاول أن أقدم ثلاثة أمثلة (من أمثلة كثيرة) عن المثقف المقاول من الحالة الثقافية والإعلامية والأكاديمية التونسية.

"الكرونيكور": تسمية متداولة في الحقل الإعلامي وهي هجينة اللفظ وكأن لا مقابل عربي لها وإذا استهجنت الأسماء فلا شك أن المسميات تحمل من الهجانة مقدارا. وفي تقديري هي وظيفة تقع بين الصحفي وتاجر "الشنطة". لو نتأمل هؤلاء في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة سنجدهم جاؤوا وبنسبة ساحقة من خارج حقل الإعلام بل من البوليس أحسانا. وليس المقصود حقل الإعلام معاهد الصحافة حصرا فكثير من الإعلاميين العرب وفي العالم لم يدرسوا صحافة. المقصود من خلال ما نلاحظه أنهم لا يؤدون شغلا إعلاميا وإنما كل "كرنوك" ينجز صفقة كلّفتها به جهة ما، تستثمر في الإعلام. لذلك في مرحلة التعددية السياسية بعد الثورة كنا نرى في الاستوديو ممثلين قارّين للأحزاب يدافعون بالمكشوف أحيانا وموارية أحيانا أخرى عمن دعمهم إلى أن أصبح هناك إجماع سكوتي بين المؤسسة وجمهورها على قبول ذلك. وتولد حس "كروي" جماهيري بأن كل "كرنوك" له جمهوره السياسي وصفحاته الالكترونية وذاك هو الرصيد الرمزي للمقاول الكرنوك الذي كان بالأمس نكرة في مكتب المحاماة أو في الجامعة أو في مخفر شرطة. ثم انفتحت له أبواب الأرض والسماء والأحزاب.وبما أن التكرار يثبّت السلوك ويرعه فسريعا ما أصبح هذا المنطق من طبيعة الأشياء في الإعلام التونسي.

هنا تكمن المقاولة حينما أصبحت البلاتوهات ملعبا مهما لإدارة السلطة وتقاسم المنافع المادية والرمزية (أسألوا عن رواتب"الكرانكة") بل وإن بعضهم تقلدوا مناصب في الدولة بعد نجاحهم لسنوات في بورصة "الكرنكة".

الكرنوك مثقف مقاول بامتياز. وقد بدأت هذه البدعة في الرياضة والفن أيام بن علي حيث انتقلت من الملاعب والمدرجات حيث تسيطر الثقافة التنافسية المتعصبة والغوغائية أحيانا ثم انطلقت نحو السياسة بقوة بعد الثورة ليتحول التعصب الرياضي إلى تعصب سياسي لعب الكرانكة دورا كبيرا في تأجيجه.ويقول لبيب صاحب مفهوم المثقف المقاول إنه من اللافت أن هذا النوع من المثقفين ينتعش في الأزمات ويواصل القول بأنه في حرب العراق برز "زملاء لنا نعرفهم ونعرف حدودهم المعرفية" في المنابر الإعلامية ومكتوب تحت أسمائهم "خبير دراسات استراتيجية". وقد شاهدت بأم عيني نشرة أخبار في يوم حزين حدثت فيه تفجيرات في تونس كان الضيف أستاذا في الفلسفة متخصصا في الابستيمولوجيا جاء يتحدث عن التفجير الإرهابي في نشرة أخبار. فقط لأنه اسم جامعي فتح مقاولة في الفلسفة واستلم صفقات حكومية وحزبية في أزمنة مختلفة.

المثال الثاني للمثقفين المقاولين هم الدعاة الذين انتشروا في الفضاء العام في تونس على نحو كبير بعد الثورة. ويظهرون ويختفون بحسب الوضع العام. ولكنهم مازالوا حاضرين في الإعلام وخاصة في الفضاءات الافتراضية. هؤلاء تخصصوا في المقاولات الدينية. ومنهم من كان مقاولا دينيا في دول في المشرق العربي ثم جاء وفتح مقاولاته في تونس ومنهم من أخذ مناقصات من أحزاب دينية كانت في السلطة فبنى لها عدة منشآت فقهية لتعليب الفكر الديني كما يراه الحزب ويستهلكه الجمهور. ثم عندما دالت دولة الحزب الديني تغيرت الصفقة وبدأ يروّج لإسلام سلطة المرحلة. لا نقصد بهم بعض الشيوخ الثابتين على مواقفهم الدينية والسياسية فهؤلاء ينتمون إلى فئة المثقف التراجيدي. المقصود تلك النخبة الدينية القريبة من دوائر إدارة الدين في تونس وتظهر على الشاشات لتروّج في كل فترة لصفقة تأويلية جديدة لنص قديم زمنيا وكلاميا (علم الكلام). ولعله ليس من قبيل الصدفة أنّ كثيرا من البلاتوهات الترفيهية أصبحت تضم متحدثا باسم "المجال DOMAINE" الديني يسوق لدين خفيف ظريف كخفة دم السلطة وظرفها.

المثال الثالث يتعلق بالمقاولات الأكاديمية. فكثير من الجامعيين باتوا مقتنعين أن وظيفة الباحث اليوم هي الاستفادة من السياق الليبرالي المتوحش. وهذا ليس خطأً كلّه. فالكثير منهم يعتبر نفسه صاحب خبرة علمية من حقه أن يبيعها لمن يشتريها. وتحول الأستاذ الجامعي من صاحب رسالة معرفية فكرية وطنية إلى صاحب خبرة علمية تؤهله إلى أن يصبح مقاولا. وسيجد كثيرا من الدول التي تفتح له الباب لبيع تلك المعرفة. لابد أن نشدد على الفرق بين أستاذ جامعي ينتدب للتدريس في دول أجنبية سخية الموارد وبين من ينتدب لتوظيف اسمه لتقديم خدمات لأنظمة ومؤسسات في إطار وعي مقاولي. التدريس أو العمل في أي بلد في العالم ضمن القوانين حق مشروع. ومن حق الباحث أمام انغلاق الأبواب الوطنية والإهمال المنهج والمعمّم للعلم والعلماء البحث عن بدائل لتوسيع الآفاق. خاصة مع انتشار نزعة عالمية نحو الاختصاص وتسويق العقول والمعارف.

في هذه الفوضى العارمة والظروف القاسية صار الكثيرون يعرضون أنفسهم على السلطة في تونس أو غيرها على أنهم أصحاب الحلول لمشاكل لا حل لها.فقط لأنهم اكتسبوا معرفة تقنية أو نظرية لا سيّماإذا تلقّوها من بلد متقدم. والسلطة يسيل لعابها من كل شيء قادم من بلد متقدم إلا الديمقراطية "المستوردة" فيكشرون أنيابهم ويتحسسون ضباطهم.

ومن هؤلاء المثقفين من تنتخبه السلطة بعد مغازلات لا تدوم طويلا لتضعه على رأس مؤسسة لخدمة مرحلة سياسية معينة. ورأينا أساتذة انقلبوا من مؤرخين ونقاد أدب وباحثين وأساتذة قانون والفلسفة وحضارة، إلى مناشدين أحيانا بل ومنظّرين لأحزاب يمينية بعدما قضوا أعمارهم ينظّرون لليسار بين جدران الجامعة. ضمن هذه العقلية التي يتبناها الباحث تحت إرغامات المعيش أو عن قناعة، تسقط المبادئ القيمية للمعرفة التي لطالما درّسها لطلبته ويصبح مقاولا. لذلك ليس من المستغرب أن نجد أربعة أسماء أو خمسة هي المتاولة في الحقل الثقافي والفكري التونسي وتجدها في كل الصفقات/ البلاتوهات / الندوات/ الوزارات/ الحفلات/ وكل ما هو آت هات..

أمام هذه الأمثلة التي تحتاج كثيرا من الدرس مع نماذج أخرى يمكن أن نعمّق البحث في سوسيولوجيا الثقافة والمثقف في تونس والعالم العربي. ولعل إحدى الفرضيات التي تحتاج إلى درس وتمحيص أن من أسباب فشل الثورة التونسية أنها قامت على أيدي شباب حالم، مندفعين نحو حلمهم بيد أنه سرعان ما استلمها المثقفون المقاولون.

الأكاديمية والكاتبة فوزية ضيف الله لـ«الشارع الثقافي» :

نحتاج عودة لصحافة فلسفية على طريقة سارتر وحنا أرنت

• غادرنا «خطاب الحقيقة» نحو خطابات المصلحة وسياسات سدّ الفراغ

حاورتها : عواطف البلدي

الكاتبة فوزية ضيف الله استاذة جامعية مختصة في الفلسفة. لها العديد من المؤلفات في الشعر والفلسفة والنقد والمسرح. كتبت أولى قصائدها في سن مبكّرة منتصف التسعينات. وجدت في هيدغر استجابة إلى تطلّعاتها الشعرية، ولكن سرعان ما تلقفتها كتابات نيتشه وعباراته موضوع اطروحتها في الدكتورا. شخصية تتميز بجوانب عدة كالتعدد والنقد والايمان بدور الفن..

«الشارع الثقافي» حاور ضيف الله وخاض معها في مجالات اهتمامها الثقافي والفلسفي وسألها حول جديدها المسرحي الذي سيصدر قريبا تحت عنوان «مأدبة المسرح»..

حسب القاموس النيتشوي هل نشهد أفولا للقيم وللسرديات الكبرى وللعالم؟

إن هذا السؤال الذي يدفع البعض إلى الضحك، ليس سؤالا ساذجا كما ذكر ذلك برترون فرجلي (Bertrand Vergely). هو سؤال نابع من إحساس مرهف بعبثيّة الحياة. إنه يُحيلنا مباشرة إلى «العدمية» كمشكل لا كفكرة. ولا يمكن أن نعتبر محاضرة 1929 قد عالجت فعليا مشكل العدمية، لأنها اكتفت بالتحليل الفيلولوجي لمفهوم «العدم»، ووضّحت أنه متجلّ في «القلق» لكنّها لم تبحث في مشكل العدمية عند نيتشه. لقد ركزت هذه المحاضرة على السؤال الذي طرحه ليبنتز في الأصل» لم ثمة الموجود بدلا من العدم؟» ولا يصدر هيدغر عن نفس الوجهة. في حين يعيّن نيتشه العدمية على أنها «تقويض للقيم العليا» وأنها حالة بسيكولوجية.

إن عبارة «العدمية الأوروبية» تأتي من نيتشه (1844-1900)، وبشكل أكثر تحديدا من الشذرات التي تعود إلى الفترة الممتدة من 1886 إلى 1887، وتمّ جمعها في كتاب بعنوان «إرادة القوة» (La volonté de Puissance). أول ملاحظة مهمة يجب تقديمها بشأن العنوان تأتي من هيدغر نفسه، في تعليقه على «إرادة القوة كفن» والذي بموجبه يُشير اسم «الأوروبي» إلى العالم «الغربي». في مجمله، وليس فقط ما يُسمى «العالم القديم».

إن هذا الاقتدار السلبي يعبر بشكل مفارق تاريخ الحداثة، ويُنهي «الشعور بالأمان»، حتى المثالية نفسها» صارت فعلا عدميّا، إنه زوال المعنى، زوال معنى العالم . فهل يمكن حقا أن نفكّر في العدم، في اللاشيء، في الفراغ؟ ليس العدم المتعلّق بشيء ما ولكن بكلّ شيء. هل هو قوّة الفراغ؟ هل العدمية هي اقتدار للعدم، للفراغ واللاشيء؟ فهل هي إرادة للعدم المطلق؟

ماذا بقي للفيلسوف؟ أي دور له وأي موقع؟ هل انتهى زمنه؟

إن نهاية الفلسفة هي نهاية بمعنى الاكتمال (Achèvement). وذلك ما صرح به هيدغر في محاضرته المعنونة «نهاية الفلسفة ومهمّة الفكر» (la fin de la philosophie et la tâche de la pensée) المنشورة في مسائل 4 (Question IV)، إنه اكتمال يشرّع لبداية جديدة ،هي انطلاقة أخرى تنشأ دلالة على الاكتمال. تخلق الفلسفة مفاهيمها من قلب الأزمات، لكنها لن تفشل في استئناف التفكير رغم استفحال التقنية والذكاء الاصطناعي، وانهيار القيم. فلا يمكن الحديث عن النهايات الفلسفية إلا ضمن منطق الاكتمال أو الاستئناف. لا تخشى الفلسفة كل الاتهامات الموجهة لها، ولا تخشى نعتها بالفشل أو الموت، لأنها تمتلك في ذاتها، مخبرا لتجديد الخلايا. كلما تمّ الايقاع بها في ورطة ميتافيزيقية، كانت قادرة على النجاة. إن النهاية هي تجميع لإمكانات أخرى مقبلة، وهكذا فزمان الفيلسوف «سابق لأوانه» لأنه يستشرف المشكل قبل وقوعه، ويتساءل عنه ويُسائله، ويرغمه على أن يتفكّك ويتوضّح ويتحلّل، وفق أي منهج يختاره، حتى يُسيطر عليه. لذلك فمن المضحك أن نتحدث عن نهاية محزنة للفيلسوف أو للفلسفة، لأنها وإن قاربت على الموت، تنبعث من جديد، مثل طائر الفينيق.

هل نعيش صراعا امبراطوريا جديدا مُتجدّدا اليوم؟

إنّ هذا الصراع بدأ ولا يمكن أن نتصوّر زواله، هو قائم بين الفيلسوف والسفسطائي والسياسي والشاعر/الفنان. من سيحكم؟ لن يزول هذا الصراع فيشهد العالم الآن «امبراطورية العدم»، امبراطورية الفراغ، اللاشيء. لقد غادرنا «خطاب الحقيقة» نحو خطابات المصلحة، السلطة، سياسات سدّ الفراغ. لقد سقط القناع، ولكن ظهرت أقنعة أخرى أكثر خطورة تفتك بالانسانية وبالفكر. سياسة الكذب الملوّن، التغيرات الزئبقية، الفقاقيع البصرية تملأ الشاشات، توظيف سيئ وفظيع للصورة وللكلمة، ترذيل للمثقف، زمن التفاهات الصارخة التي اعتلت مناصب ووجدت من يُموّلها، وارتحلنا غصبا الى معالم الكارثة. انه زمن الفواجع التي جعلت أرضية الحقيقة في رجة. هل مازال للفكر مقامه؟ إن المثقف والمفكر والشاعر والمسرحي والتشكيلي في وضعيات وجودية حرجة. لا يتعلّق الأمر بزوال فكرة «الأمان» ولكن زوال «المقام». رغم ذلك فإن الشعر والفنون تحاول رتق الخدوشات، لملمة الوضع. لا نحتاج لمسكنات، بل نحتاج تشخيصا جديدا لهاته الأمراض الجديدة التي أصابت الانسان في حريّته، في مسكنه، في حياته. أي معنى لما نقول أمام انتهاكات تحدث في غزة أمام مرأى العالم؟ إنه العجز والقهر.

أي دور للنخب في هذه المنعطفات الكبرى والحادة؟

ليست كل النخبة واعية، الكثير منها اختار الصمت والهروب والتخفي، نشدانا للراحة أو استنادا لمنطق الوقوف على الربوة أسلم. يجدر بنا أحيانا أن نتساءل عن معنى «النخبة»؟ ألا يبدو أن الانخراط في عملية الانقاذ والترميم لهاته التصدعات في المعنى وفي الوجود هي مسؤولية جماعية؟ هل النخبة قادرة لوحدها دون إرادة سياسية؟ من قال إن هذه النخبة هي في وضع صحي وآمن حتى تتحرّك وتكون صامدة وقوية في عملية البناء الفكري والثقافي؟ النخبة المثقفة، من المفكرين والشعراء تشكو من هموم كبرى، هموم حياتية مختلفة، وتخشى على حياتها، أمام مراسيم تحدّ من حرية التفكير. كيف نكون قادرين على الابداع في غياب مفهوم حقيقي للحرية؟ كيف يبدع المسرحي أمام فراغ الجيب وتغيير منظومة التسويق وغموض منظومة الدعم وتأخر الصرف؟ كيف يبدع التشكيلي أمام منظومة مهترئة، غياب لسوق فنية، وعجز عن التعريف بتجربته في العالم؟ كيف نميط اللثام عن الخلط الذي يحدث بين الفنان وشبيهه، بين المفكر والسفسطائي. ان المثقف الحقيقي، المثقف العضوي، بلغة غرامشي، يُناضل حتى في رمقه الأخير، وسلاحه الكلمة والحرف والقلم والريشة والصورة.

هل تعيش النخب أزمة تحولات هي الأخرى ؟

أظل دائما محترزة أمام عبارة «النخب». على هؤلاء أن يلتحموا دوما بالحياة، بالناس، بالمشهد الثقافي والفني، بالوقائع الحقيقية. تفرض علينا التحولات الراهنة أن نعدّل الكثير من الأمور، لا يمكن للنخب أن تظل في عليائها، نحتاج دمقرطة للحوار والعلم والفن. نحتاج «محادثات» حقيقية، في كل المجالات. الجامعة التونسية تحتاج رؤية جديدة، استثمار ذكي للتكنولوجيا، تطوير السبل البيداغوجية، تغيير نمط التدريس، إحداث حلقات نقاش حول كل الأزمات العالقة، تطوير مسالك البحث، جعل المخابر العلمية أكثر

مرونة وفاعلية، تأسيس مجلات بحثية تُسهّل على الباحثين نشر أعمالهم، تركيز ايتيقا بحث متطورة ومتفاعلة، تدعيم التواصلية بين الجامعيين دون تفرقة «الألقاب والرتب»، تعزيز المؤسسات الجامعية بنشاطات فنية مختلفة، تحرّك الوعي وتحمي الطلبة من الضياع ومن الفراغ الآثم والخطير. إن المثقف الحقيقي ثري بمواقفه، بكتاباته، بإبداعاته المُتوهجة احساسا وصدقا.

يبدو أن ما بقي لنا هو الشعر كما يحدثنا بذلك هيدجر الذي انتهى الى ما يشبه «المتصوف» المتأمل والمنصت لنداء الوجود؟

«ما يبقى يُؤسسه الشعراء»، هكذا حدّثنا هولدرلين. ليس الأمر مجرّد هروب إلى الفن أو الى الشعر. إن الشاعر يُطبب بشعره أحزان المدينة، يزرع في المرأة اقتدارا جديدا أمام تزايد العنف، يُعيد لنا لذة الاحساس بالطفولة. إن «الكلمة» أقوى من السلاح، والفن بصورة عامة هو ترسانة من المقاومات، هو الاصرار على صناعة المستقبل، صناعة الأمل في عقولنا. إن سرديات صناعة المستقبل اليوم تتنافس على «الدواء» الذي يمكن أن يكون نافعا، ويشهد العالم عودة قوية للشعر، لأن العقل اصطدم بمفاهيم «العدم» والحرب والموت والقتل. يظلّ إحياء العالم واستبدال القيم ممكنا شعريا، إذا أدركنا الفرق بين الشعراء. من هو الشاعر الحقيقي الذي يحق ويمكنه تأسيس المعنى ضمن ما تبقى من العالم؟ لم يطرد أفلاطون الشعراء من الجمهورية الفاضلة إلا لأنهم كانوا «شعراء مدينة» ولم يكونوا «شعراء الوجود»، لم يكن «برمينيدس» في نفس مقام «هوميروس». واليوم نحتاج شعرا يفكّر، شعرا يُقاوم. لقد كان الفنان ياسر جرادي، نمطا فريدا عن شاعر يغني أفكاره ويعيش أفكاره، ويرتحل لأجل أفكاره. في مقابل ذلك ثمة شعراء مرتزقة، فقاقيع هواء، يمارسون السياحة الشعرية، في مآدب الشعر غير الحقيقية. إن هؤلاء هم الذين يقتلون «الشعر»، يعدمونه في الأمسيات الفاخرة، التي يزداد طنينها الفارغ، في حين يموت الشعراء في غرفهم، في المنفى، في غربة عن وطنهم وعن ذواتهم في انتظار عدل شعري وثقافي.

ليس التصوّف أمرا منفصلا عن الشعر والفكر. ولكن لا ينبغي أن يأخذ التصوّف ملاذات الدراويش، ويقتات من غباء الشعب المتهافت على الفرجة الصاخبة. إن التصوّف الحقيقي يكمن في الإنصات لعلامات الحياة رغم عدمها الأخير، في التمسّك بالأفق المفكر وصناعة ملاذات حقيقية على قوام فكري نقي وصادق. كل التجارب الابداعية والفكرية تفشل إذا كانت غير صادقة، وينتهي بها المقام الى الانكشاف المفضوح كلما حاولت اعلاء مقامات لا تستحقها.

هل نشهد عودة لنيتشه خاصة ازاء هذا العبث وهذه العدمية اللذان اجتاحا العالم؟

• الفلسفة مَنْبَتي ومقامي ومسكني الأول، موجودة في أشعاري ولوحاتي وقصصي ومقالاتي

• لم نرتق بعد الى احترام ضرورة وجود الناقد كخبير أو كمختص

• العالم الآن يشهد «امبراطورية العدم»، امبراطورية الفراغ، اللاشيء

• النخبة المثقفة تشكو من هموم مختلفة، وتخشى على حياتها أمام مراسيم تحدّ من حرية التفكير

• تخلق الفلسفة مفاهيمها من قلب الأزمات، لكنها لن تفشل في استئناف التفكير

هل غادرنا نيتشه حتى يعود؟ وهل فكر نيتشه متاح للجميع؟ لقد صار نيتشه متداولا التداول الذي لا يعطيه حقّه. وتؤوّل «كلماته» في كل موقع أو نقاش، على النحو الذي يسيء لفكره. أتصوّر أن نيتشه الذي يقول عن فلسفته أنها «للجميع وليست لأحد» قد طوّق نفسه بأسلوب عظيم، يجعله محميا من كل التحريفات. تكون العودة الى نيتشه جميلة إذا كانت في سياقها الصحّي، دون تفريط في التأويل إلى حدّ التحريف ودون التفريط في الاستعمال الى حدّ التعسّف. إن ما فعّل هذه العودة هو الاحساس بالعدم والعبث فعلا ولكن يجب التحذير من قيام القراءات الايديولوجية لنيتشه.

وأنت الاكاديمية الناشطة والفاعلة في مناشط إبداعية متنوعة كيف تقيمين حال المشهد الثقافي؟ وحال إعلامه؟

يزخر المشهد الثقافي بطاقات ابداعية رهيبة في كل القطاعات، ولكن دائما نحتاج الى الانتقاء واعطاء الفرصة للجميع بالقدر نفسه، مع ضرورة التكثيف من حضور الفنون الملتزمة والتقليص من العروض التجارية، التي لا تحترم فكر الشعوب، وتعمل على تسطيح الوعي ونشر الرداءة. وتكون مهمة الاعلام في تسليط الضوء على ما يستحق أن يرى النور فعلا. ينبغي استعمال المنصات الاعلامية، كسلطة رابعة فعلا على أحسن وجه. يحتاج الاعلام التونسي الى ايتيقا تواصلية، لا أنكر أننا لدينا وجوه اعلامية متميزة جدا، لكن كما تعلمين وأنت مدركة لذلك، في كل مجال ثمة من يستسهلون المهمة ويفسدون بهجة الثقافة. وعلى المواطن أن يكون واعيا بتلك الفروقات اذا كان يريد أن يحمي ذوقه واختياراته من زحف الرداءة.

أدرك جيّدا أن الاعلام السمعي البصري قد اكتسح المجال الاعلامي أكثر وذلك كان على حساب الصحافة المكتوبة التي تأخذ من الاعلامي الجاد وقتا وجهدا واطلاعا. وبما أن السلطة صارت للصورة، فلابدّ من مراجعة كل المنصات والقنوات «غير الصحية»، فقد انتشرت في بعض التلفزات الخاصة برامج منعدمة الفائدة.

وبحكم أني من عشاق الإذاعة فإني أتابع برامج اذاعية واعدة بإذاعاتنا، لا يمكنني ذكر الأسماء، هم سيعرفون أنفسهم. ان الساحة الثقافية تتسع للجميع، وأتصور علينا تنسيب كل أنماط الايغو، وتجاوز المشاحنات الضيقة التي تنشأ عن جهل بتاريخ الاعلام والصحافة في العالم. لقد كان تحليل تأثير الصحفيين في المجال الثقافي والسياسي موضوع دراسات متعددة منذ نهاية السبعينيات (أبرزها باديولو، 1976؛ مازوليني وشولتز، 1999؛ سوانسون ومانشيني، 1996؛ بورديو، 1994). قبل وقت طويل من فك رموز هذه الظاهرة التي يقترحها علم الاجتماع، أدان العديد من الفلاسفة والكتاب التأثير الكارثي الذي تمارسه الصحافة المكتوبة على تشكيل الآراء الفردية والجماعية.

كان غوته من أوائل المثقفين الذين استنكروا إضاعة الوقت وقلة التواضع التي تفاقمت بسبب كثرة الصحف. كما انتقد كيركيغارد الصحفيين الذين هم دائمًا على استعداد للتحدث بصوت عالٍ عن أشياء لا يفهمون عنها شيئًا، وبالتالي فهم جزء مما يشيرون إليه باسم «قطاع الطرق شبه المثقفين» في نظره.

لم يكن نيتشه أول من وجه انتقادات شديدة للصحفيين والصحافة المكتوبة. ومع ذلك، فقد وسع نطاق انتقادات

أسلافه، التي ركزت بشكل أساسي على الصحافة، لتشمل جميع ناقلات الثقافة الجماهيرية. في نظره، تعتبر الصحافة عرضًا لمرض الثقافة الحديثة وأداة لعملية إعادة الإنتاج الاجتماعي التي تؤدي إلى استئصال الفرد لصالح الجماهير والامتثال. إن الصحافة هي الحلقة الأساسية في نظام يهدف إلى منع إنتاج أفراد قادرين على التفكير بأنفسهم، ذوي عقول حرة. بالنسبة لنيتشه، ليست الأحداث العظيمة بالضرورة تلك التي تكون «مصحوبة بالعواء والدخان»، بل على العكس تمامًا: «صدقني أيها الشيطان ذو الانفجارات الصاخبة والجهنمية! إن الأحداث الكبرى ليست الساعات الأكثر ضجيجًا، وإنما هي الساعات الأكثر هدوءًا».

عندما يشير نيتشه إلى الصحفيين، فهو لا يقصد فقط أولئك الذين يعملون في المؤسسات الإخبارية. وهو يشمل تحت «النوع الصحفي» كل من يساهم بطريقة أو بأخرى في هذا التوحيد الفكري وهذا الانحطاط للأسلوب. يتم تصنيف الصحفيين وأصحاب المسلسلات والكتاب على أنهم «مهرّجو الثقافة الحديثة» إلى الحدّ الذي يتكوّن فيه دورهم من «تلطيف رثاء النفوس بالقليل من الثرثرة وتغطية صرخاتهم بأجراس الأحداث الكبرى الخطيرة والمهيبة للغاية».

وبما أن الصحفي، مثل الفيلسوف، يبحث عن الحقيقة، فيجب عليه أيضًا أن يُصحّح نفسه عندما تتسلّل الأخطاء إلى تقاريره. نحتاج عودة لصحافة فلسفية، أو «فلسفة للصحافة» على طريقة سارتر وحنا أرنت.

يُردّد الأدباء وشعراء اليوم أن زمن النقد قد ولّى ووهن وأن اليوم يشهد طفرة النص وسطوته.. هل نحن في حاجة إلى نقد النقد ؟

علينا أن نحدّد من هو الناقد؟ من يسميه ناقدا؟ هل يقع تدريس النقد في جامعاتنا؟ هل نعترف بالنقد حتى نطالب به؟ هل تتصوّرين أن هؤلاء الذين يُطالبون بالنقد هم قادرون على تحمّله؟ لقد تعوّد الجميع على خطابات المدح، ولم نرتق بعد الى احترام ضرورة وجود الناقد كمقام أو كخبير، أو كمختص. الناقد نفسه يتم اقصاؤه واسكاته بطرق مختلفة، وأحيانا تتم هرسلته واتهامه بالتواطؤ. لا بد أن يكون النقد مهمة موضوعية لا يتدخل فيها أحد، ولا يُشترى بالمال. هل رأيت يوما تمثالا أُقيم لناقد؟ هل لاحظت أن الناقد أحيانا ينسحب حماية لقلمه ولنفسه؟ لقد امتلأت الساحة بالأقلام التي تكتب تحت صفة «ناقد»، لكن في مقابل ذلك للناقد مقامه في بلدان أخرى، ومهما كان النقد حقيقيا وقاسيا يفرحون به، لانهم يحتاجون من يُصوّب أعمالهم منذ اللحظات الانشائية الأولى للعمل الابداعي ويُجازى على «نقده» بشكل محترم.

لا أتصوّر أن السطوة للنصّ يمكن أن تحجب قيمة النقد

- الجامعة التونسية تحتاج الى رؤية جديدة
- الفنان ياسر جرادي، كان نمطا فريدا، شاعر يغني ويعيش ويرتحل لأجل أفكاره
- ثمة شعراء مرتزقة فقاقيع هواء يمارسون السياحة الشعرية، في مآدب شعر غير حقيقية
- نيتشه صار متداولا تداول لا يعطيه حقّه و»كلماته» تؤوّل على نحو يسيء لفكره

وضرورة قيامه. إن النص بعد كتابته، لم يعد على ذمّة صاحبه. والنص الحقيقي هو الذي يفتح دائرة الجدل والنقد والمحادثات الحقيقية دون وساطات. قبل المرور إلى نقد النقد، نحن نحتاج الى التصالح مع مفهوم النقد نفسه، لأنه ثمة الكثير ممن ينصبون للنقد والنقاد عداوة، ويخلطون بين الشخصي والمهني، وتنشأ مشاحنات، ويتم تجنيد من «يُطبّل» ويصفّق للعرض أو للعمل الذي لا يستحق أن يُعرض.

كاتبة مغرمة بفنون عديدة.. شعر، فن تشكيلي، موسيقى، قصة قصيرة، نقد، «سبعة صنايع وان شاء الله البخت مش ضايع»... صدر لك في كل مجال كتاب تقريبا.. أين تصنفين نفسك اليوم بعد هذه التجارب؟

أنتمي إلى الفلسفة، ذلك منبتي ومقامي ومسكني الأول. لا أغادرها في كل رحلة، تظل موجودة في أشعاري، ولوحاتي، وقصصي ومقالاتي، رغما عني. وحكايتي مع الفلسفة بدأت قبل اختياري لها كشعبة تدرّس في الجامعة، فقد كانت الأسئلة الفلسفية مقاما أرتاح فيه أمام أفق يبعث على التساؤل، في منطقة محافظة بأقصى الجنوب الشرقي. استنشقت الشعر جينيا من أمي وجدّتي، وتربيت على الخرافات المشحونة بالصور والشعر. نشأت في بيئة يزدهر فيها ايقاع الألوان بايقاع الموسيقى، أصوات الصحراء، وانفلات القمر في سماء صافية، أتقنت الحوار بكل ديمقراطية في عائلة آمنت بدور المرأة وفكرها، رغم قسوة المناخ. كنت أدلو بالرأي بكل شجاعة منذ الصغر، أرى الأمور من زوايا مختلفة. كل هاته الوجوه هي واحدة، والفلسفة ليست في قطيعة مع الشعر والفن والمسرح، وهي مدرسة حقيقية في النقد.

وأنت المتابعة المنتبهة جدا لتفاصيل المشهد الثقافي ماذا تقولين لوزيرة الثقافة الجديدة ؟

أتمنى للسيدة الفنانة الموسيقية أمينة الصرارفي، كلّ التوفيق. وبحكم اختصاصها الموسيقي، أتصوّر أن الانصات الجيّد هو قوام العمل الناجح. الموسيقى هي علم ينتمي إلى الرياضيات في إحصاء علوم الفارابي، علم عدد النوتات، وكل «نوتة» لها وقعها ومقامها على السلّم. فحتى تكون الموسيقى ناجحة، يكون الانصات جامعا بين الدقة والإنصات المرهف، وعدم خلط الطبقات، والتمييز بين القرار والجواب. أن تعطي لكل مجال حقه، والثقافة موسيقى ومسرح وكتاب وتشكيل وسينما. لكل مقام من هاته المقامات، موسيقاها، والانصات لها، بالقدر نفسه. تُطبخ الألحان على نار هادئة، متذوّقة، وربّما تنولد من «رحم الموسيقى» كما قال نيتشه، رؤية جديدة تُعدّل الأوزان، وتُخلّصنا من النشازات. لا أنصحها بالعودة للتراث وفق منطق «التهذيب» لأن الأذن ملّت من ترديد هذا التراث المتكرّر، ولكن الخلق الجديد، لموسيقى، تقودها نحو قيادة حقيقية، تستمدّ قوامها من رؤية جديدة بناء على العثرات التي حصلت. نحتاج أن نمشي بتُؤدة، وننظر بعين متسعة، وننصت أكثر من أن نتكلّم. لا بدّ من فتح ملف «قانون الفنان»، مراجعة قوانين الدعم، إحداث مقام حقيقي للنقد الفني، غربلة كل الشوائب، مسح الأرضية، عدم إعطاء الموظفين بالوزارة مشاريع تتضارب مع خططهم، تشجيع الجمعيات الثقافية العلمية الفاعلة حقا، التقليص من المهرجانات ذات المحتوى الفارغ، تدعيم الكتاب والناشرين، احداث معارض دورية للكتاب على مدار السنة، اعتماد اللامركزية الثقافية والعدل في توزيع الفرص داخل المناطق الداخلية.

جامع الأزهر والفضاء الجامعي بمصر ووضع الفكر الفلسفي :

في الريادة والنكوص والحاجة إلى الفلسفة

بقلم: محمّد الكحلاوي (أستاذ بجامعة قرطاج)

عبد المنعم تليمة

محمد عبده

هل يعقل بعد زمن المجد التليد في العصر الحديث للفلسفة والفكر الحرّ في الشقيقة جمهورية مصر العربية، أن نسمع ونقبل ونرى رفضا للفلسفة ودعاوى لعجم تدريسها؟... هل يمكن أن تنكّس رايات الفلسفة والفكر النقدي والعقلاني الحرّ بالبلاد العربية؟.. وهل من الوجيه أن يُضيّق الشيوخ الدعاة المتشدّدون على جديد الفنون والآداب، ويصادروا كلّ نفس حرّ فيها بدعوى الخروج عن تعاليم الدّين التي يفصّلون القول فيها كيفما شاؤوا، وعلى نحو ما هو الأمر في مذاهبهم؟... ليرو من ثمّ في الإبداع خروجا عن تعاليم الدين وربما معايير الأخلاق الحميدة وفقا لما يرون ويزعمون هم... وهل معنى ذلك في نظرهم أنّه لا معنى لما لم يكن مصدره سلطتهم في القول والرأي وسلطة مؤسساتهم؟...

... يمتدّ مسار مجد الفلسفة في مصر العصر الحديث، ما بين جامع الأزهر وفضاءات الجامعة المصرية وكليات الآداب ودار العلوم من أيّام حكم الباشاوات، حيث بدت يقظة الفكر الإصلاحي مع رئيس البعثة المصرية المصلح المجدّد الأزهري المنفتح الشيخ رفاعة الطهطاوي (تـ 1873)، الذي ترأس بعثة مصر إلى باريس للتعلّم والتعمّق في المعارف والآداب العصرية، فوضع كتابين في ضرورة احتذاء النموذج الغربي عبر الإقبال على ينابيع العلم والتقدّم، جاءت تبعا لتفاعله الإيجابي مع جديد الفكر الفلسفي وروح الأنوار وفكر الحداثة وفنونها، هما: «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» و«المرشد الأمين في تعليم البنات البنين»، دعا فيهما إلى الأخذ بعلوم العصر والفلسفة والفكر العقلاني الحرّ والتنظيمات السياسية والاجتماعية الحديثة لضمان تحقيق التقدّم والرقيّ وبناء صروح العلم والحضارة، كما رأى الطهطاوي أنّه من الضروري أن نعمل بتعليم البنات، وأنّه ليس ثمّة ما يمنعهنّ من تلقي العلم مثلهنّ في ذلك كمثل البنين، وهو ما لا يتعارض مع مقاصد الإسلام وروح الدين.

وفي السياق نفسه جاء مشروع المفكّر والمصلح المجدّ محمّد عبدهُ (تـ 1905م) الذي رغم أنّه شيخ أزهري مختصّ في علوم العقيدة (الكلام وأصول الدّين) والفرق المذهب، فتح قريحته على العلم والفلسفة واهتمّ عميقا بالبلاغة والمنطق، فاستنتج كما أودع ذلك في رسائله أنّه لا نهضة جديدة ولا تقدّم لعلوم الدّين ولا فلاح للإنسانية وتحرّرها بغياب علوم العقل والفلسفة التي هي أسّ تجديد المعرفة والتأسيس لمعقولية الأفكار والدفاع عنها. وفي السياق نفسه دعا إلى اعتماد الفلسفة ومبادئ العقل وانفتح على الفكر الاعتزالي وفلسفة ابن رشد، واعتبر علوم البلاغة مدخلا إلى تجديد علوم الدّين وتفسير آي الذكر الحكيم.

وهكذا قد مثّلت هذه الأرضية المعرفية ذات الأبعاد الفلسفية التي عرفتها مؤسسة جامعة الأزهر من حيث هي فضاء للعلم وإطارا لبزوغ مشاريع تجديد الفكر ونقد الأدب ودراسة متون الثقافة العربية والإسلامية والتراث، من خلال اتجاهين كبيرين:

الأوّل: عقلاني فلسفي نقدي

ظهرت بوادره الأولى مع طه حسين (تـ 1973م)، عندما اعتمد عقلانية ديكارت منوال نموذج منهجي في جمع الأدب العربي، الشعر الجاهلي على الخصوص، وتدوين التاريخ وأيّام العرب، ليخلص إلى نتائج مهمّة بخصوص تدوين الشعر الجاهلي وقصص الأنبياء، وواصله محمد أحمد خلف الله في رسالته «الفنّ القصصي في لقرآن الكريم»، وواصله محمود قاسم ومحمّد عي أبور ريان وأحمد محمود صبحي وعاطف العراقي وغيرهم في التأريخ للفلسفة وعلوم الفكر والدّين في الحضارة العربية. ويبدو أنّ هذا الاتّجاه عرف أوجه مع مشروع عبد الرحمن بدوي في محاولة التأسيس لفكر فلسفي عربي يستفيد من التراث وينفتح على تيّارات الفكر الفلسفي المعاصر ويحاكيها خاصّة منها الوجودية، وفي معرض ذلك وضع كتابيه «الزمان الوجودي»، و«دراسات في الفلسفة الوجودية. من ناحية أخرى نجد لديه توظيفا للفلسفة في منحى الحجاج لفائدة الدفاع عن الكتاب العزيز، حيث ألّف كتابه «دفاع عن القرآن ضدّ منتقديه». وضمن هذا الاتّجاه وفي مجال الأدب والدّراسات الإسلامية ظهر علمان جمعا بين الفلسفة واللسانيات وعلوم النقد وتحليل الخطاب، وقد تميّزا في ذلك، وهما: جابر عصفور في نقد الأدب والشعر وقراءة التراث العربي لاسيما منه النقدي والبلاغي. ونصر حامد أبو زيد لاسيّما في دراسته حول الخطاب الديني والقرآن الكريم في منحاه الدلالي وصوره البيانية ونسيج لغته، ذلك ما مثّل محور اهتمام محوري لكتابيه «مفهوم النصّ»، و«نقد الخطاب الديني».

ومن مشاريع النقد الأدبي المنفتح على الفلسفة وعلم الجمال، تجدر الإشارة إلى أعمال محمود أمين العالم عبد المنعم تليمة، صاحب كتاب «علم الجمال الأدبي»..

ونجد تألّقا وتميّزا واضحا لتيّار الفكر الفلسفي العقلاني في الفضاء الأكاديمي للجامعة المصرية، تظهر معالمه وتتنوّع أطروحاته وترجماته وإضافاته للفكر الفلسفي العربي سواء من خلال جهود زكي نجيب محمود في أطروحته حول آفاق تجديد الفكر العربي وقراءة التراث أو لدى زكرياء إبراهيم في ما نشره حول مشكلات الفلسفة ومفاهيمها: مشكل الفلسفة، الفن، الحرية، البنية، المسألة الخلقية. وفي السياق نفسه ظهرت أعمال فؤاد زكريا، صاحب المؤلفات المهمة حول الفلسفة القديمة والحديثة.

الثاني: نقدي فلسفي هووي

ونقصد به تفكير فلسفي ونظر في مسائل الفلسفة يبحث دوما عما يتوافق مع ما روح الدين وأركان الإيمان والعقيدة الدّينية، مع اعتبار النصّ القرآني منطلقا لتوليد فلسفة ورؤى عقلانية إلى الكون والإنسان وحقيقة عالم الغيب والألوهية، تنطلق من علم أصول الدين (علم الكلام) والتصوّف ومباحث أصول الفقه بوصفها نوابت للفكر الفلسفي العربي والإسلامي، وهي في معرض ذلك تتعامل بحذر أو عبر انتقائية مع الفكر الفلسفي اليوناني، على نهج الإمام أبي حامد الغزالي والفخر الرازي؛ تأخذ منه مقولات علمية مجرّدة عقلية، لتعتمدها في البرهنة والحجاج لأجل الدّفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلّة العقلية، على حدّ عبارة ابن خلدون في كتابه «المقدّمة»، عند معرض تعريفه لعلم الكلام.

ولقد ظهرت البوادر الأولى لهذا التيّار مع أحد أبرز شيوخ جامع الأزهر، ونعني الشيخ مصطفى عبد الرّازق (تـ 1947) الذي جمع بين اطلاعه على الفكر الحديث ومصنّفات الفلسفة الإسلامية وعلوم الدّين، وكان شيخا أزهريّا فيلسوفا، ظلّ حريصا على الأخذ بعلوم العقل النظر، وهو من أساتذة عبد الرحمن بدوي، وكان من ضمن أعضاء مناقشة رسالته الجامعيّة، وتأثّر بنهجه علي سامي النشار (تـ 1980) صاحب الكتاب الذائع الصيت «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»، والشيخ عبد الحليم محمود (تـ 1978) (وهو الذي تولّى بدوره مشيخة جامع الأزهر)، وقد جمع بين البحث في الفلسفة والتصوّف، فهو الذي أنجز دكتواره بجامعة السربون حول «أصول التفكير الفلسفي في الإسلام»، واشتهر بكتاباته حول التصوّف ومنها «المدرسة الشاذلية والتصوّف»، و«الإمام الشاذلي»، و«الغوث أبو

فؤاد زكرياء

مصطفى عبد الرازق

عبد_الرحمن بدوي

مدين»، وغيره من أعلام التصوّف كالمحاسبي وابن مشيش والتستري. وضمن هذا السياق برزت جهود الباحث الموسوعي عبد القادر محمود صاحب كتابي «الفلسفة الصوفية في الإسلام»، و«الفلسفة الدينية في الصوفيّة». وهناك مشاريع بحث رائدة ضمن هذا السياق منها أعمال محمّد مصفى حلمي (تـ 1969)، وهو الذي أعدّ رسالة ماجستير بالفرنسية حول «نظرية الجوهر بين ديكارت وسبينوزا»، بإشراف لالاند وبرييه. ثم رسالة دكتوراه في الفلسفة سنة 1940م، بأطروحة «ابن الفارض والحب الإلهي»، أشراف عليها الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق، وتتلمذ لمصطفى حلمي لاحقا أبو الوفاء غنيمي التفتازاني، وهو الذي كانت أطروحته: «ابن سبعين وفلسفته الصوفيّة».

على صعيد آخر نجد من جمع بعمق وسعة معرفة بين اتجاه البحث العقلاني في مسائل الفكر الفلسفي والمنطق ودراسة الفكر الديني وعلوم العرفان والإشراق، ونعني كتابات أبي العلاء عفيفي، الذي كان أوّل من أعدّ أطروحة دكتوراه باللغة الانقليزية موضوعها «الفلسفة الصوفيّة لدى محيي الدّين بن عربي» (بجامعة كامبردج 1939)، وألّف كتاب «التصوّف الثورة الروحية في الإسلام»، وبحوث أخرى حول نظريات الكلمة في الفكر الإسلامي. وحول فلسفة ابن سينا والمنزع الإشراقي.

وهنا تجدر الإشارة إلى اهميّة تلك المشاريع التي رامت التأصيل إلى الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر ضمن المجال المعرفي والثقافي العربي، مثل: كتابات عبد الرحمن بدوي حول التعريف بنيتشه، منذ 1939 وهيغل وشيللر وكانط... وكتابات إمام عبد الفتاح إمام وترحماته لنصوص الفلسفة المثالية لهيغل ودراساته حولها...

الفكر الفلسفي في زمننا هذا: الريادة رغم المنزلقات وأشكال التهميش

بدءا تجدر الإشارة إلى أمور مهمة بخصوص نكبة الفكر الفلسفي في مصر وفي بعض البلاد العربية، حيث كان ظهور محاولات تهميش الدرس الفلسفي وقمع دوائر الفكر الفلسفي والتضييق على تيّارات البحث والنقد التي تعتمد الفلسفة. ولعلّ ذلك يعود إلى عوامل كثيرة تتصل أوّلا وأساسا بالانزياح الذي عرفته مؤسّسات التدريس والبحث التابعة لجامع الأزهر، عندما بدأ التخلّي عن الفلسفة وعن علوم العقل. وتعود الشرارات الأولى لذلك إلى هيمنة خطّ تفكير محمّد رشيد رضا، فهذا الشيخ الأزهري رغم تتلمذه للشيخ محمّد عبده، واعتبار فكره بمعنى ما امتدادا له، يمّم وجه شطر السلفية والوهابية وعاد إلى ابن تيمية واعتمده في الردّ والرفض والتضييق على دوائر التفكير والبحث الحرّ في الفلسفة والتصوّف والنظر وفي الحرّيات، وله فتاوى في الغرض منشورة بمجلة «المنار». لذا انتشرت تبعا لذلك الوهابية السلفية واتّسعت دائرة التشدّد الديني التي اخترقت دوائر التعليم والدعاية في الأزهر وكان من أبرز وجوهها الذين جمعوا بين صورة شيخ العلم دون وجه علم حقيقي ونزيه وبين الدعوة وحمل لواء الدعوة يوسف القرضاوي ومحمّد الغزالي ومحمّد عمارة، وغيرهم... وليس عجبا أن نجدهم ممن أمضى على وثيقة إهدار دم الكاتب والصحف الناقد لخطاب الحركات الإسلامية فرج فودة، وكانوا من المساندين والداعين لمذهب الأخوان المسلمين. وفي السياق نفسه جاء التصدّي للمشروع العلمي الفكري نصر حامد أبو زيد حول قراءة لغة القرآن ونقد الفكر المتشدّد السلفي الإخواني، من خلال ما جاء في كتبه؛ «مفهوم النصّ» و«الخطاب الدّيني» خاصة.. وتمّ ذلك التفكير والرفض بقيادة الشيخ الأزهري أستاذ الدّراسات الإسلامية عبد الصبور شاهين.

وامتدّت سلطة الأزهر على الفكر والفنّ، وبدأت من ثمّ موجات رفض الفلسفة والفكر الحرّ كذلك الأدب الرفيع الذي فيه نقد للمجتمع وللسائد، حيث تمّت مصادرة رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ وقامت حولها ضجّة، ومُنع غيرها من الأعمال الإبداعية، مثل رواية «وليمة لأعشاب» للكاتب السوري حيدر حيدر، حيث أدانت اللجنة العلمية التي شكّلها جامع الأزهر ما جاء في هذه الرواية واعتبروا أنّها تضمّنت تحقيرا للمقدّسات، وتمت مؤاخذة وزارة الثقافة على الموافقة على نشرها، وللإشارة فقد وقّع شيخ جامع الأزهر محمّد سيّد طنطاوي على ذلك... ولعلّه كثرت في زمننا هذا تدّخلات شيوخ الأزهر والجهات التابعة له لمنع الفنون؛ الأغاني والقصائد والمسرحيات وأفلام السينما...

هكذا تبعا لهذا لم يعد للفلسفة والفكر الفلسفي والبحث العقلاني الحرّ مكان واسع وأدوار فاعلة، في بعض البلدان العربية والإسلامية، ورغم النهضة التي تشهدها الفلسفة في بعض دول الخليج... لم يكن عجبا أن تنهض دعوات رفض وتهميش واستخفاف.. ترى أنّه لا موجب لتدريس الفلسفة طالما أننا نملك الحقيقة المطلقة ولنا اليقين، وبدأ تهميش تدريس الفلسفة وتمت مصادرة بعض كتبها وكتب الفكر النقدي الحر وحتى التصوفّ، فكتاب «الفتوحات المكيّة» لابن عربي لم يعد متوفرا بما فيه الكفاية ولا طُبع كما كان الأمر....

وللإشارة فجامع الأزهر الذي بعثت به فجر العصر الحديث شعبة العقيدة الفلسفة، وتخرّج فيها أساتذة مفكرون كبار، وبعث نظير لهذه الشعبة بجامعة الزيتونة بتونس زمن دولة الاستقلال، قبل أن تحذف بموجب تأثير المرجعيات المتشدّدة... بدأ يشهد اليوم تهميش الفلسفة وظهرت لامبالاة شيوخه تجاه ما يشهده الدرس الفلسفي والبحث الفلسفي من تهميش وتضليل .

وللتذكير فقد حذفت منذ زمن شعبة العقيدة والفلسفة من جامعة الزيتونة. وقيل: إنّ الفلسفة تدرّس ضمن تخصّص أصول الدّين، وفي مصر صارت مقررات الدراسات الإسلامية مجالا لتدريس الفلسفة وغيرها من العلوم العقلية والذوقية. وقلّ التأليف في مثل هذه الحقول المعرفية.

وللتذكير للفلسفة في تونس مكانة محورية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية ولها شعب محورية وأخرى فرعية متنوعة...

وعليه لّما عمّ الجمود والتكلّس والتشدّد بل الجهل والارتماء في أحضان الماضي، صار من البديهي الدعوة إلى إلغاء الفلسفة والإعراض عنها والدعوة إلى عدم قراءة مصنّفات الفكر الفلسفي، بل اعتباره سبب زيغ وظلال وزندقة وخروج عن الدّين، ولكن هم يفعلون ذلك للسيطرة على العقول وبقائها رهينة الجهل وأسيرة القديم والتقليدي وفقه المذاهب القديمة.

وهنا تجدر الإشارة أنّ للفلسفة وظيفة محورية في تقدم الفكر ونضج الوعي وتوسيع دائرة الإدراك والفهم والتعايش بين الآراء والمذاهب المختلفة. ولذا جاء في البيان الذي أصدرته وحدة الدّراسات الفلسفية والتأويلية بالمعهد العالمي للتجديد العربي) القاهرة، «أن العناية بالفلسفة هي بناء للشعور بالانتماء الوطني والانتماء الحر للإنسانية، وهذا ما يقلل الفساد والتطرُّف والمثالب والسقطات الكبرى في سيرورة الشعوب والدول، ويؤسس للأوطان المتقدمة التي تواكب العلوم الراهنة.

نعم، إن مصر جديرة بالاشتراك في صناعة العلم الحديث، فالعيش في زمان الذكاء الاصطناعي يستدعي فلسفةً بمستوى هذا الوجود التقني الجديد». وأنّه «ومن حق الشباب الانشغال الحثيث بالمستقبل، وتعقُّل الحاضر لضمان الاشتراك في رؤية العالم، وتأمين الحياة».

وأخيرا يجدر أن نختم بما ذهب إليه الصديق العزيز الأستاذ القدير محمّد الحدّاد، حيث قال: «إذا صحّ خبر تهميش تدريس الفلسفة في أكبر بلد عربي فهذا يعني أن معركة التنوير تأخذ منعطفا جديدا، فلم يعد السؤال تحديد دور الفكر التنويري في المجتمع بل الدفاع عن وجوده.. يتعين حينئذ المرور إلى حالة الاستنفار القصوى. وللتذكير: أغلق الإمبراطور البيزنطي جوستينيان والخليفة العباسي المتوكل مدارس الفلسفة وقد سقطت الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية العباسية وبقيت الفلسفة»...

خواطر وأفكار حول الوضع الثقافي في تونس

حسونة المصباحي

بعد انهيار نظام بن علي في الرابع عشر من شهر يناير-كانون الثاني2011، كثر اللغط والحديث في وسائل الاعلام بمختلف أنواعها، وأيضا في المنابر، وفي الندوات والملتقيات الثقافية، عن أوضاع الثقافة التونسية، وعن إمكانيات تجديدها، وتخليصها من أزمات، ومن شوائب عانت منها خلال حقبتي نظام بورقيبة، نظام بن علي. ولم يتردد أولئك الذين رحّبوا ب»ثورة الكرامة والحرية» في القول بأن تونس عاشت خلال الحقبتين المذكورتين «تصحّرا ثقافيّا مريعا». لذا لا بد من العمل على إعادة الاعتبار للثقافة والمثقفين بهدف انبعاث «ثورة ثقافية» بالمعنى الحقيقي للكلمة تقوم على تشجيع الطاقات الإبداعية والفنية التي كانت مُجمّدة ومقصيّة ومهمّشة، على النشاط والخلق والابتكار في ظل «الديمقراطية الجديدة» التي جاءت بها الانتفاضات الشعبية التي أطاحت بنظام بن علي.

والحقيقة أن تونس لم تعش «تصحّرا ثقافيا» لا في عهد بورقيبة، ولا في عهد بن علي، ولا في الحقبة الاستعمارية، بل عاشت ظروفا أخرى لا يتسع المجال هنا لاستعراضها، وتفسير دوافعها...

وكان المثقفون التونسيون بمختلف توجهاتهم ومشاربهم يتطلعون إلى مستقبل مشرق بالإبداع الأدبي والفني بعد انهيار نظام بن علي، إلاّ أن الواقع سرعان ما خيّب آمالهم وأحلامهم وأمانيهم العريضة. فقد أظهرت حركة النهضة بزعامة راشد الغنوشي، والتي اكتسحت المشهد السياسي منذ البداية، عداءها القديم للمثقفين والفنانين والمفكرين الرافضين لأطروحاتها، وتوجهاتها. وبتحريض علنيّ منها، قامت جماعات متطرفة بالهجوم على قاعات السينما في العاصمة، وبالاعتداء بالعنف على مثقفين وفنانين ومبدعين في العديد من الفضاءات الثقافية والفنية في مختلف مناطق البلاد. ولم تسلم الجامعات والمدارس من تلك الهجمات، ومن تلك الاعتداءات. ولم يتردد المنصف بن سالم، وهو أحد كبار قادة حركة النهضة في اظهار كراهيته لرموز النخبة التونسية الذين صنعوا مجد الثقافة التونسية في مراحل مختلفة من التاريخ المعاصر، مطالبا بحذف نصوصهم من البرامج المدرسية، وناعتا جماعة «تحت السور» ب»الكحوليين المارقين عن الدين». وقد استغلت الحركات السلفية المتطرفة هيمنة حركة النهضة على المشهد السياسي في الفترة الفاصلة بين2011 و2014 لكي يُجاهر قادتها وأنصارها بعدائهم المطلق لمختلف التعابير الأدبية والفنية. وفي غياب كامل للردع، ولغياب القوانين، دأب هؤلاء على مدى ثلاث سنوات على التهجم اللفظي والمادي على الفنانين، والمثقفين. كما أنهم عطّلوا ندوات فكرية، ومنعوا نشاطات ومهرجانات فنية. وفي العديد من الجامعات استعملوا الأسلحة البيضاء والهراوات لترهيب الأساتذة والطلبة. ولم تتوقف حركة النهضة عند تلك الحدود، بل استغلت اشرافها على أول حكومة بعد انتخابات خريف2011، لكي تخفض من ميزانية وزارة الثقافة ليجد العديد من الفنانين والكتاب والشعراء أنفسهم بلا مورد رزق. وخلال السنوات التي أعقبت «ثورة الكرامة والحرية» توفي البعض منهم جراء الإهمال والاذلال وعدم القدرة على شراء الدواء. كما توقفت فرق فنية ومسرحية عن العمل، وحُرم مخرجون سينمائيون من انجاز أفلام كانوا يحلمون بها. وعالمة أنها بلا فنانين وبلا كتّاب وبلا مفكرين وبلا شعراء، سعت حركة النهضة حال هيمنتها على المشهد السياسي إلى «شراء ذمم» البعض من أشباه المثقفين والفنانين الذين غالبا ما يكونون قادرين على «تغيير جلودهم» بحسب الظروف والمصالح. ورغم أنها نجحت في ذلك نسبيا إلاّ أنها لم تتمكن من تنفيذ مخططها الرهيب المناهض لكل شكل من أشكال الثقافة الحرة، والتفكير الحر إذ ظهرت العديد من الأعمال الأدبية والفكرية والفنية التي تحتفي بالحياة، وتناهض «ثقافة الموت».

وثمة ظاهرة أخرى تتوجّب الإشارة إليها، وأعني بذلك استغلال البعض من الانتهازيين ل»ثورة الكرامة والحرية» للحصول على مناصب وامتيازات مادية بالخصوص. وجميع هؤلاء كانوا في طليعة المستفيدين ثقافيا وماديا من نظام بن علي. والبعض كانوا يتمتعون بمناصب رفيعة في المؤسسات الثقافية، وفي الجامعات. لكن حال سقوط نظام بن علي، وضعوا أقنعة جديدة، مُعلنين من دون خجل أو حياء أنهم كانوا «معارضين» لذلك النظام، ناسبين لأنفسهم بطولات وهمية. وباسم «الثورة»، روّج هؤلاء لأدب هزيل، ولفنون تافهة، ولمسرحيات وأفلام لا هدف من ورائها سوى الركوب على الأحداث، وتوفير أرضية لبروز ثقافة سطحية تقوم على الأكاذيب، وعلى الشعارات الجوفاء. ولأنهم بارعون في حبك المؤامرات القذرة، وفي بعث «مافيات ثقافية» موالية لهم، فإن هؤلاء تمكنوا من الهيمنة بشكل كبير على المشهد الثقافي التونسي من خلال المؤسسات الثقافية التي أصبحوا يسيطرون عليها، ويديرونها بحسب أهوائهم ومصالهم الخاصة مثل المعرض الوطني والدولي للكتاب، ومعهد تونس للترجمة، وغير ذلك. فالنسبة للمعرض الدولي الكتاب، يمكن القول إن نفس المجموعة المكوّنة من أساتذة من جامعة منوبة هي التي تتحكم فيه بشكل مطلق. قد تتبدّل بعض الأسماء، غير أن الأسماء الجديدة تكون نسخة من الأسماء المنسحبة. ورغم فشله الذريع في أكثر من دورة في اعداد برنامج يليق بمعرض دولي للكتاب، فإن عادل خذر المعروف بحقده على المبدعين الحقيقيين لسبب لا يدريه سواه، فإنه يُعاد تعيينه في نفس المهمّة لتزداد الأوضاع سوءا بعد كل دورة. وفي دورة هذه السنة بلغ العبث بالمعرض وببرنامجه قمة السطحية والابتذال. لذلك ارتفعت أصوات كثيرة في تونس وفي بلدان عربية أخرى منتقدة بحدة إدارة المعرض التي من بين فضائحها أنها عينت أستاذة في اللغة الفرنسية مسؤولة عن النشريّة الإعلامية في حين أنها لم تصدر كتابا واحدا، ولا معرفة لها بالكتّاب والمبدعين لا في تونس ولا خارجها. حتى مُنشط البرنامج الثقافي هو أيضا أستاذ من جامعة منوبة تجاوز سن الستين....

ولم يقتصر الأمر على كلّ هذا، بل تعمد المشرف على البرنامج الثقافي اقصاء من لهم إصدارات جديدة من الفعاليات الثقافة، وحرمانهم حتى من «البادح» الذي يعفيهم من الوقوف في الصف الطويل للحصول على تذكرة الدخول...

وأمّا معهد تونس للترجمة فهو حكر على مجموعة من الأساتذة الجامعيين الذين يُغلقون الباب أمام كل واحد خارج عن «فرقتهم»، وهم يعملون في السرّ وفي الكتمان خشية أن تنكشف ألاعيبهم.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن الجوائز الأدبية تُشرف عليها لجان، جل أعضائها من الجامعيين الثابتين في هذه المهمة. وقد يتغير الأعضاء أيضا لكن الاختيارات تظل خاضعة لما يُبْطل في غالب الأحيان مصداقية هذه الجوائز، ويُشرّع غضب جل المبدعين التونسيين.

كل هذا يسمح لنا بالقول بإن «التصحر الثقافي» الحقيقي لم تعشه الثقافة التونسية لا في زمن بورقيبة ولا في زمن بن علي، بل تجرّعت تبعاته ومظالمه في سنوات الهرج والمرج «الثورجي» التي لا تزال متواصلة إلى حدّ هذه الساعة...

الرّواية السّجنيّة النّسائيّة والتّمرّد على المرجعيّات الجندريّة :

دراسة في رواية «كفّارة» لحبيبة المحرزي

رفيقة البحوري

تعجّ رواية «كفّارة -الحبس للنساء» لحبيبة محرزي بالقضايا الاجتماعية التي تناولتها: قضايا الظلم الاجتماعي، الفقر والتهميش، انسداد الأفق والبطالة، المشاكل العائلية وضياع خصوصيات الفرد في القيم الجماعية، المثلية، التفاوت بين الجهات، الإرهاب والتهريب. ويمكن أن نقول دون مجازفة إن حبيبة المحرزي أغرقت الرواية في كل الأمراض التي تنخر المجتمع التونسي في الوقت الراهن.

القضية المحورية: سجن النساء

يشير العنوان إلى قضية محورية تدور حولها الأحداث وتلفّ الشخصيات في دوارها، وهي قضية السجن محدّدا بنوع اجتماعي مخصوص هو النساء. والعنوان هو العتبة التي تختزل الدلالات التي بنت عليها الكاتبة مشروع الرواية. لذلك سأركز على هذه القضية من منطلق جندري وأحاول سبر دوافع هذا الطرح وأهدافه.

قضية التمييز الجندري

إن مسألة الجندر أو النوع الاجتماعي مسألة متشعبة ويتطلب الخوض فيها الكثير من التدقيق والاطلاع ولكنني سأقدم تعريفا موجزا يكون منطلقي في التعاطي مع هذه القضية.

الجندر، باختصار شديد، هو الدّور الّذي يحدّده المجتمع لكلّ من المرأة والرّجل والخصوصيّات الّتي تترتّب عنه إن في مستوى المسؤوليات والعلاقات ونمط الحياة وحتّى المميّزات النّفسيّة.

إنّ اختلاف المرأة والرّجل في الأصل هو اختلاف بيولوجي ثابت، وعليه يقوم استمرار الجنس البشريّ، ولكنّ المجتمع (في كل الحضارات وكل المجموعات البشريّة)، يحدّد لكلّ منهما دورا يقدّمه على أنّه امتداد لهذا الاختلاف الطّبيعيّ، ويقيمه على فروق ينشئها ويثبّتها بجملة من العلاقات الاجتماعيّة والعقائد الدّينيّة والعادات والقيم.

لا تكتفي هذه الفروق الّتي يكرّسها المجتمع بأن تربط المرأة بالمحافظة على استمرار الجنس البشريّ وتلزمها بذلك، بل هي تحمّلها مسؤوليّة صيانة هذا الجنس. لا يقتصر الأمر على الحمل والرّضاعة وإنّما يمتدّ هذا الدّور إلى الاعتناء بالأطفال والقيام بالأعمال المنزليّة والاعتناء بالرّجل بل حتّى السّماح له بامتلاكها.

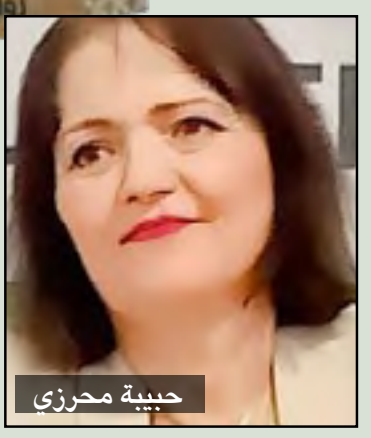
حبيبة محرزي

وبالمقابل يقوم الرّجل بدور إنتاج كلّ ما يُستهلك ويدخل في مجال التّبادل (المال) وهذا ما يعطيه المكانة العليا وسلطة اتّخاذ القرار.

إنّ هذه الفروق التّمييزيّة الّتي أنشأها المجتمع وكرّسها أفضت إلى تهميش النّساء في أغلب المجالات، والحطّ من مكانتهنّ سواء في العائلة أو الشغل أو العلاقات العامّة وحتّى في تمتّعهنّ بالفضاء الخارجيّ. إنها تمثل تضييقا على مساهمتهنّ في الحياة العامّة، وخاصة في كل ما يسمح باتخاذ القرار.

لعلّ اختيار حبيبة المحرزي كتابة الرّواية السّجنيّة نابع من وعيها بأنّ واقع المرأة هو دوائر مركّبة ومتشابكة من السّجون أرساها المجتمع ودعّمتها التّنشئة، فاستبطنتها المرأة، فهي مكبّلة في هذا السّجن الكبير، سجن الجندر.

ولعلّ الهدف من هذا الاختيار هو الرّغبة في إحداث تغيّرات جندريّة في مستوى التّمثّلات الاجتماعيّة العميقة، أو ما يعبّر عنه بتاريخ العقليّات ومقاومة هذه العلاقات السّلطويّة اللاّمتكافئة بين الجنسين، وهنا يظهر التّمرّد على المرجعيّات الجندريّة.

اختيار السّجن مكانا لطرح الجدل الجندريّ

السّجن هو المكان الّذي يصل فيه الانسان إلى أقصى وأقسى أنواع المعاملات النّافية لإنسانيّته وقد أشارت الكاتبة إلى ذلك في عتبة وظّفت فيها قولة لجون جاك روسّو يعتبر فيها أنّ سلب الحرّيّة هو سلب لإنسانيّة الإنسان:

« الحرّيّة صفة أساسيّة للإنسان، وحقّ غير قابل للتّفاوض، فإذا تخلّى الإنسان عن حرّيّته فقد تخلّى عن إنسانيّته وعن حقوقه كإنسان»

والسجن هو المكان الذي يتجمّع فيه كل من رفضه المجتمع، واعتبره خطرا على النّظام الاجتماعيّ. وهو المكان الذي يعزل فيه المهمّشون اجتماعيّا لمختلف الأسباب. ولكن ما تهتم به حبيبة المحرزي هو قضيّة الفرق بين واقع الرّجل والمرأة في هذا الفضاء. تبسط وضعيّة المرأة باعتبارأنّها تتعرّض للتهميش الأقسى بين المهمّشين.

توضح الكاتبة ذلك في مستويين:

الأوّل: كيفية التعامل مع المرأة داخل فضاء السجن. والثاني: كيفية التعامل معها بعد الخروج من السجن.

اختارت حبيبة المحرزي أن السجينة الرئيسية بريئة. والمقصود بهذا الاختيار أن هذه التجربة ليست مرتبطة بالردع أو الإصلاح. وكثيرا ما تكون الضغوطات الاجتماعية وهي التي تحاصر المرأة وتدفع بها إلى دخول السّجن. يتكرّر نفس الموقف عندما تذكر حيثيات دخول نساء أخريات السجن بعد أن خرقنا القانون، وتكشف أن الأسباب في الغالب هي ضغوطات علائقية وأوضاع اجتماعية قاسية. بل إن السجن بالنسبة لبعضهن أرحم من حياتهن خارجه. كما في حكاية سالمة التي تنصحها أمها بأن تفتعل المشاكل لتظل في السجن. لأن إخوتها سيقتلنها إن هي خرجت.

فالقضية المطروحة ليست قضية قانونية وإنما هنالك إدانة للمجتمع ومحاسبة له على المنزلة الدونية التي ينزّل فيها المرأة.

الحبس للنساء

يكشف العنوان الفرعي التمرّد على التّمييز الجندريّ المتوارث. وذلك باستعمال صيغة استفزازيّة قائمة على قلب قولة راسخة في الموروث الشّعبيّ ومكرّسة في ممارساته: « الحبس للرجال». العبارة حصريّة وفيها إقصاء للنّساء.

وإن أخذت على وجه الحقيقة تعني أن النساء لا يسجنّ، بينما تفتتح الرّواية بإثبات وجود سجن للنّساء: « ترفع رأسها المتصدّع مرعوبة (السّجن المدنيّ للنّساء) فوق اللاّفتة يرفرف علم أحمر كبير مهترئ بنجمة وهلال» والعلم وإن كان مهترئا فهو يثبت أنّ السّجن هو من المؤسّسات الحكوميّة المعترف بها. من الثابت إذن أنّ النّساء ككيان

قراءة في كتاب

بيولوجيّ كأجسام وأرواح يسجنّ ولكنّ الجندر لا يعترف لهنّ بذلك.

والواقع أن كلمة « الرّجال» لا تستعمل على وجه الحقيقة بمعنى الاختلاف البيولوجيّ. وإنّما بمعنى الجدارة الّتي يكتسبها من مرّ بتجربة السّجن، وأثبت جملة من الصّفات تمنحه التّفوّق كالشّجاعة والقوّة وتحمّل الصّعوبات. التمييز الجندري يحرم النساء من هذه الجدارة. ولعله من المفيد أن نذكر أن هذا الحرمان يطال إن كثيرا أو قليلا البريئات ومن سجنّ لأسباب تعتبر اجتماعيا مشرّفة.

ومن أنواع التهميش التي ركّزت عليها حبيبة المحرزي تنزيل كل سجينة في منزلة يهمشها المجتمع ويجرّمها القانون ووصمها بالعاهرة. وهي الصفة التي صدمت بها غزلان. وغزلان هي طالبة دكتوراه ملتزمة بالاستقامة الّتي يطلبها المجتمع. وهي مكافحة لإثبات ذاتها رغم خذلان الأب ماديّا ومعنويّا. تعيش حياتها دون أن تخرق نواميس الجندر، وأهمها المحافظة على العذرية. ولكنها ما أن تتخطى عتبة السجن حتى يُختزل كلّ جسمها في عضو واحد وإنسانيّتها في نمط واحد: عاهرة.

تعامل المتهمة معاملة قاسية وتتفنن الكاتبة في وصف الآلام الجسدية التي كابدتها غزلان عند دخولها السجن حتى «تكوم كتلة يابسة» كذلك ألمها النفسي الذى أوصلها إلى شلل عقلي مباغت» (ص ...) ولنا أن نقول إنّ المعاملة السيئة في السجن تطال الرجال والنساء. ولكن ما تختص به النساء. هو العودة بهنّ إلى منزلتهن الجندرية الأولى ككائنات يمتلكهن وللمحافظة على صفاء النسل هي مسؤوليّتهن الأولى كأن بخرق هذه المسؤولية تنتفي انسانيّتهنّ.

تتوقف حبيبة المحرزي عند الكثير من أنواع التهميش والإهانة التي تطال النساء دون الرجال. من ذلك إجبار السجينات على تغييب أجسامهن بالسفساري عند المحاكمة، وتركهن في ركن منزو حتى تتم محاكمة الرجال. كذلك عدم تعاطف العائلة مع السجينة. تذكر موقف الأب عندما زار ابنته في السجن. لم يسأل إن كانت ظالمة أو مظلومة. «لو كان ذكرا وزرته في السجن كنت أتخمته أطعمة وتذكر ما قاله لها:» هذه آخرتك يا مثقّفة؟ في السّجن؟ يا لفضيحتي! يا لشماتة الأعداء! « (صفحة) تذكر الكاتبة أن الأب نفسه قد سجن عندما سرق سلاحه في الخدمة العسكرية ورغم فداحة السبب كان يتندر بذلك ويعتبره طيش شباب.

تعامل المجتمع مع السّجين بعد المرور بهذه التّجربة

التّمييز الواضح بين المرأة والرّجل. بعد الخروج من السجن وقد اختزله وكثّفه العنوان الأصلي للرواية: كفّارة

الكفّارة هي حكم شرعيّ ورد في القرآن في موضعين وهما « كفّارة اليمين» و»كفّارة القتل عن غير قصد»، ثمّ أضاف إليها الفقهاء مجموعة أخرى. وتتمثّل الكفّارة في القيام بعمل يتقرّب به المخطئ إلى اللّه ليكفّر به عن ذنبه كي يغفر اللّه له. وتكون بإطعام عدد من المساكين أو عتق رقبة أو صيام بعض أيّام. لكنّ الكفّارة في تونس هي مرتبطة ارتباطا كلّيّا بالسّجن.

هي عبارة يُستقبل بها السّجين عند خروجه من السّجن. وفيها إقرار بأنّ السّجين قد كفّر عن الخطإ الّذي قام به في حقّ المجتمع ومواضعاته وقوانينه، وأنّ أثر ذلك الجرم قد انتهى. وتعني الكفّارة كذلك الاحتفال الّذي يقام على شرف السّجين وهو «مناسبة كالأعراس والختان يحييها الطّبل والمزمار» وأحيانا الخمر والعربدة. وسواء استعملت كلمة كفارة بالمعنى الأول أو الثاني فإن لها دورا مهمّا فهي تعني إعادة إدماج السّجين في المجتمع.

المجتمع يمحو خطأ السّجين الرّجل ويعيد إدماجه. وهذا ما لا يحصل مع السّجينات. إن احتكار الرجال لكلمة كفارة يدل على حرمان النّساء السجينات من حق الادماج ومن الاعتراف بأنّ هذه التّجربة المريرة قد كفّرت عن الخطأ.

لم تجد غزلان عند خروجها من السّجن أحدا في انتظارها. وكانت غربتها مربكة إلى حدّ جعل سائق التّاكسي يعتبرها مجنونة. ما من كفار لغزلان. ومع ذلك استعملت الكلمة داخل السّجن من قبل السّجينات عند سماعها بحكم البراءة::» كفّارة أنتم السّابقون ونحن اللاّحقون» استعملتها بضمير المذكّر، إذ لا عبارة تخصهنّ .

هكذا نرى كيف سعت رواية كفّارة الحبس للنساء إلى فضح التّمثّلات الجندريّة التّمييزيّة المتوارثة. وفي ذلك فتح لأفق تجاوزه،ا وإخراج المرأة من المنزلة الدّونيّة الّتي فرضت عليها، ومثل هذه الكتابة لها تأثير في الواقع الاجتماعي وخاصة في واقع النساء لأنّ من طبيعة الجندر التّحوّل والاختلاف في المكان والزّمان. فهو ليس ثابتا كالاختلاف البيولوجيّ، والتّمرّد عليه يساهم في تغييره.

وفي النهاية يمكن أن نقول إن كفارة الحبس للنساء هي استحضار لأنواع من الاضطهاد الاجتماعي المسلط على المرأة وما السجن إلا رمز يكثف كل تلك المعاناة لفضحها. ونقد الأنساق الفكرية والتمثلات الموروثة من أجل بناء هوية جديدة للمرأة.

اصدار جديد

«التسوير من المنطق إلى النحو» لعادل الباهي :

عصارة التسوير من افلاطون الى المحدثين

صدر عن مؤسسة أفرا للدراسات والابحاث بالرباط كتاب جديد للدكتور التونسي المختص في اللسانيات النظرية عادل الباهي بعنوان (التسوير من المنطق إلى النحو ،قراءة لغوية في البرنامج الدلالي الصوري). هذا الكتاب هو حلقة في سلسلة تمثل كتب الدكتور عادل الباهي ضمن مشروع بدأه بدراسة الاسوار النمطية في المنطق الحديث والمنطق الارسطي والنحو الحديث وكذلك الصفات. عزز الباحث الحلقة الثانية عندما اختار الاسم المنكر واضعا قوته التسويرية على محك ثنائية ارهقت اللسانيين والمناطقة منذ برتراند راسل وهي ثنائية الوجود والاحالة وقد قوى الباحث هذه الاثنينية بمقولات خارجية من النحو العربي والتداولية وخاصة نظرية الأعمال اللغوية وجعل اساس اختباره التركيب وهو مقياس الاستعمال. عاد الأستاذ عادل الباهي في مقال نشره بعنوان العد والعدد ليحفر في الطبقات العميقة للاسم المكثف في الجنس GENDER وبمعالجات مازجة للصوريين والنحاة والمناطقة الارسطيين. ترك الأستاذ عادل الباهي خانات غير مدروسة عاد إليها في هذا الكتاب (التسوير من المنطق إلى النحو) فركز على نظرية الأسوار المعممة من الدلالة الصورية وبنى كتابه بشكل دائري وضع في فصله الأول الأسس النظرية الشكلية الصناعية لهذه النظرية

عادل الباهي

وقد تسلطت على الاسم بمفهوم وحيد هو النمطية ليسترسل في الفصول اللاحقة لدراسة تمثلات المدرسة الصورية في الخطاب مستغلا مقولات راسل وفريغه في اختبارات ربطت بين تسوير الحد والفعل وادمجت تصورات همشت في النظرية النحوية الدلالية العربية اختزنتها متون قديمة استعصت على الدارسين مثل متون عضد الدين الايجي وابي الحسين البصري لينهي الباحث كتابه بمقترح واعد حرص فيه على ضم رؤيته بعد نشرها وسماه «حوسبة الاسوار» وقد قدم فيه رؤية طريفة لحساب مضبوط راعى فيه العدد والموضع والتأويل. وبين هذا وذاك تقدم مقدمة العمل وخاتمته عصارة التسوير في رحلته من افلاطون إلى المحدثين وباستغلال نظرية (ان ك) للأستاذ محمد صلاح الدين الشريف.

أحمد خليل

قراءة في «استووا يرحمكم اللّه» لنجوى العريبي

اسمهان الماجري - كاتبة وباحثة

إنّ القصّة القصيرة من أهم أنماط الكتابة السرديّة اليوم لعدة أسباب من أهمها :قدرة القصّة القصيرة على التكثيف على مستويين مستوى الفكرة ومستوى الاختزال اللغوي كذلك،مقارنة بالرواية مثلا أو بالقصّة العاديّة التّي يكون حجمها أقل من حجم الرواية وأكثر من حجم القصّة القصيرة، والقصّة القصيرة ألوان وأصنّاف خاصّة على مُستوى الحبكة والانتماء للواقعية أو الذهنية أو غيرها من المرجعيات السردية، ما بين أقصوصات تشدنا إلى قيم قديمة وأخرى تدفع بنا بكل شجاعة إلى عوالم جديدة وقيم جديدة،ولعل أول ما شدني في المجموعة القصصيّة للقاصّة نجوى العريبي هو العنوان "استوُوا يرحمكم اللّه"هذا العنوان الذَي يحمل دعوة للاستواء ودعاء يحث عليه دعاء بالرحمة،ذكرني مباشرة بالجدات الحكيمات البسيطات والجميلات في رؤيتهن للتربية السوية.

هي مجموعة أقصوصات فيها من عوالم كثيرة لعل أهمها والذي شدني قبل غيره بل آلمني كثيرا هي العوالم النفسية الهشة للإنسان عند المصائب والفقدان والحزن من ذلك أقصوصة "للذاكرة رائحة" ولكن الذاكرة ليست دائمة حقيقة كاملة بل قد يُخالطها الخيال المليء بالأمنيات والرغبات يقول بول ريكور في كتابه "الذاكرة،التاريخ،النسيان" :"إن الذاكرة وقد أختزلت إلى استذكار، تعمل بالتالي في سياق الخيال"

كما يقول :"يبدو أن عودة الذكرى لا يُمكن أن تحصل إلا بطريقة الصيرورة-الصورة- إن المُراجعة المُتوازية لفينوميولوجيا الذكرى وتلك الخاصة بالصورة تجد حدها الأقصى في سيرورة تحويل الذكرى إلى صور، إن التهديد الدائم بالخلط بين إعادة التذكر وبين الخيال الناتج عن الصيرورة -الصورة الخاصة بالذكرى يصيب طموح الأمانة الذي يختصر الوظيفة الصدقية للذاكرة "

إن هذا الخلط بين الذاكرة والخيال خلط لازم شخصية أقصوصة "للذاكرة رائحة" وساهم في توتر نفسي للجدة التي فقدت ابنها المتوفي، فاختلط عليها الأمس باليوم بالغد وخالطت ذاكرة الحقيقة خيال الوهم والكذب وهي تتوهم صوت ابنها صادحا بالآذان،ومن القرائن اللغوية الدالة دوما في السّرد أو الشّعر عن توتر نفسي وعدم استقرار لدواخل الشخصية هو تواتر الجمل في صيغ الأسئلة والاستفهام وصيغة الاستفهام تدل عن توتر كبير "كيف فاتهم أن يخبروني أن الرّاضي غدا مؤذن المسجد؟منذ متى؟أنا لم أره يوما يؤدي صلاة ؟!أيعقل أن يفوّتوا عليّ مثل هذا الحدث؟!"

"عزيز قلبي، صباح الخير هل صرت تُخفي عن أمّك أخبارك المبهجة أيضا؟!أنت كتوم بطبعك، منطو على نفسك، ولطالما عرفت كيف أخرجك من عالم صمتك"

"حبيبي مالك صامت لا تُجيب؟مشغول!!؟

هذه الأقصوصة هي أقصوصة الذاكرة الممزوجة بالخيال والجدة تتذكر ابنها الراضي وتنسى أو لا تستوعب أو لا تصدق أنه مات، في نفس الوقت لا ذاكرة لها في عالم يحتوي غيره "ابنتها وحفيدتها"حتى أنها عندما لم تتعرف على حفيدتها التي قالت لها أنها حفيدتها لجين، ظنت هذه الحفيدة ابنة الراضي لا ابنة ابنتها ملغية بذلك وجود ابنتها الحية ومستدعية ذكرى ابنها الميت وجعله في ذهنها حيا،وهب ثنائية لعبة أتقنتها القاصة لتوصيل الحالة النفسية التي كانت عليها الجدة وبالتالي صاغت شخصية معقدة مليئة بعقد التزاوج بين الذاكرة والنسيان والواقع والخيال.....الخ،إلى درجة جعلت الجدة تتخيل وجود هاتف غير موجود وتخاطب به ابنها المتوفي واقعا الحي ذاكرة "أمّي لم أعثر على غير هذه الملعقة المستطيلة وهذا القدر وإناء القهوة...لا أثر لأي هاتف"

هذه الأقصوصة كانت ذات منحى نفسي دقيق وعميق يجعل القارئ يعيش توترات عدة داخل النّص خاصة عند الصدمة صدمة النهاية التّي تكشف المخفي من سرد بقية الأحداث على ذلك النسق السّردي دون غيره.

أقصوصات ذات منحى فلسفي وجودي

تحتوي المجموعة أيضا بعض الأقصوصات التّي كانت أقرب للمنحى الحكمي الفلسفي الوجودي ولكن في اتزان واعتّدال دقيق دون إفراط أو تفريط لعل أهمها أقصوصة "في المزاد" التّي تُوحي من خلال عنوانها بفكرة التّجارة ولكن ليس كل تجارة مادية هناك كذلك التجارة المعنوية أو الإنسانية الوجودية يقول نيتشة : " لقد أتيتك بشريعة الضحك فتعلم أيها الإنسان كيف تضحك" وهذه الأقصوصة تطبيق لهذه القولة وهي دعوة للضحك.

"عمّي عندي ضحكة تُحفة للبيع، بكم تبتاعها؟

ـ بدينار

ـ لا لماذا تبخسني حقّي؟ دينار؟! أنا تاجر من صلب تاجر وأعرف الأسعار في السّوق وبين التّاجر والمُشتري، عرض وطلب تأمّلها، وقلّب بضاعتك جيّدا، فأنت تاجر شاطر ولك خبرة في السّوق "

هذا الحوار ما بين الطفل والتاجر ينحو منحى فلسفي وجودي أنيق يحمل رسائل إنسانية عدة ولكن هذه الرسائل ستسير نحو العقدة مع كل جملة إضافية من الحوار بين طرفي الحوار، حيث أوصلت القاصّة رسالة أن الضحكة تكون أجمل وأصدق كلما كنّا صغارا ،لتصير أقل جمالا وصدقا كلما كبرنا وكأنها مرتبطة بمستوى الوعي بالوجود وآزماته المتعددة "معك حقّ نسيت آخر مرّة رأيت فيها أبي يضحك يدخل البيت محمّلا بأكياس، يخرج منه محمّلا بوصايا ومطالب... خلاص فاتورة الكهرباء والماء والهاتف، المرور على الصّيدليّة لاشتراء دواء الرّبو والسكّري وضغط الدّم، ولا ينسى أن يبحث عن بعض الأرزّ فهو مفقود ... وبعض الفراولة لأختي الصبيّة "فشهوى الصبيّة بميّة" "...

إن ضحكة الطفل بهذا سهلة سريعة لذلك

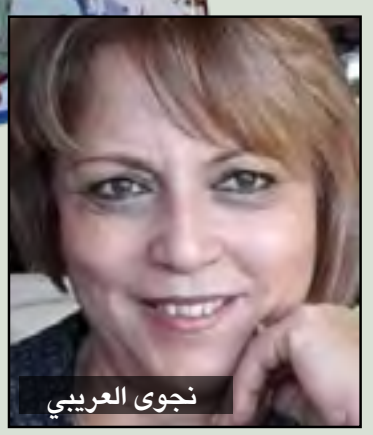
نجوى العريبي

لم يُسعرها التاجر بأكثر من دينار ،وهي تحيلنّا على أكثر الفترات نقاء وبساطة وسعادة في حياة الإنسان وهي فترة الطفولة يقول غاستون باشلار في كتابه شاعريّة أحلام اليقظة :"الطفلُ يرى بعين كبيرة، بعين جميلة والتأملات نحو الطفولة تُعيدنا إلى جمال الصور الأولى " كما يقول في نفس الكتاب : "إن جذور عظمة العالم تُفرز في طفولة، بالنسبة للإنسان يبدأ العالم بثورة روح تستقي غالبا حدتها من الطفولة"

إن نجوى العريبي في هذه الأقصوصة تحديدا أعادتني إلى طفولتي التّي كنت ومازلت وسأظل أعتبرها أجمل مرحلة عمرية في حياة الإنسان وأكثرها نقاء وصدقا وسهولة حيث كانت أعظم أمنياتي علبة شكولاطة أو الكثير من المثلجات وبذلك الحياة وردية جدا وجميلة وتشبه القصص، دون تفكير دون وعي يخلق الخوف أحيانا ويضع القواعد والقوانين بطريقة مجتمعية تُساهم في عُقد نفسية مخفية للإنسان فيما بعد دون وعي بها بالأساس.إن الطفولة هي المثالية المطلقة يقول باشلار في ذات السياق وهو ما نختم به تناولنّا لهذه الأقصوصة : " في تأملاتنّا نحو الطفولة، في القصائد التّي نودُ جميعا كتابتّها لكي نُحي تأملاتنّا الأولى، لكي تستعيد عوالم السعادة، تظهر الطفولة في أسلوب سيكولوجيا الأعماق نفسه، وكأنها أنموذج مثالي حقيقي، أنموذج السعادة البسيطة الحقيقيّة، بلا ريب إنها صورة فينا"

القصة القصيرة جدا في مجموعة استووا...يرحمكم الله لنجوى العريبي

إن القصة القصيرة جدا حاضرة حضورا مهما في هذه المجموعة،والقصة القصيرة جدا تُعتبر جنسا أدبيا مختزلا جدا مُقارنة بالقصة القصيرة،حيث تتطلب جملا قصيرة ودقيقة مع كثرة للأحداث وقلة للوصف غالبا يقول يوسف حطيني في كتابه "القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق" متحدثا عن آليات القصّة القصيرة جدا : " من هنّا تنشأ الحاجة إلى الجُملة الفعليّة أو الجملة الاسميّة ذات الطاقة الفعليّة"

كما يقول : "نُضيف إلى ذلك أن الحكاية فيها مُختصرة سهميّة والحدث يتجه رأسا ليواجه ظرفه المُضاد"

القصص القصيرة جدا لنجوى العريبي كانت مقتضبة كما يتطلب هذا الجنس السردي القصصي وتقوم على تلك المفارقة الصادمة ومنها القصة القصيرة جدا "دم"

"عانق يعقوب نور السّماء بملعقة الصّبر شرب نخب الحرية

فيما لحقه الذّيب متربصا، قميص يعقوب قد من دبر....."

نلاحظ في هذه القصة القصيرة جدا الاقتباس عن قصة النبي يوسف ووالده يعقوب مع إعادة صياغة مُختلفة،فالذيب هنا لحقه متربصا يعني هو هنّا مُدان عكس القصة السماوية في المعتقدات الدينيّة، وفي ذات الوقت مزجت القاصة هذه الحكاية بحكاية النبي يوسف مع زليخة لكن الذي قد قميصه من دبر هو يعقوب لا يوسف وفي سياق آخر متعلق بالذيب والأرجح أن الذيب هنا رمز للإنسان رمز لأبناء يعقوب لا للذيب فعلا،وبهذا تكون نجوى العريبي قد أحدثت صدمة القصة القصيرة جدا من خلال أخذ أكثر من حدث من قصة واحدة لكن مع صياغتها بطريقة جديدة ومختلفة.

ومن القصص القصيرة جدا كذلك قصة "فنان الغلبة" التّي تعيد القاصّة صياغتها صياغة مختلفة عن صياغة علي الدوعاجي الذّي يقول :" عاش يتمنى في عنبة مات جبولوا عنقود ما يفرح فنان الغلبة كان من تحت اللّحود"

فتغير الثمرة كبداية لإعادة صياغة هذه القاعدة فتقول في قصتها القصيرة جدا : "يُراقب عن كثب حفل تأبينه...يضحك ملء شدقيه... أيبكون أطلاله الماضية تفجعا وتوجعا ؟!.... اللحظة تقذفه إلى محطات من حياته ...يضرب كفا بكف تبا لهم عاش يشتهي تمرة "

وفي هذه القصة بعض خيال في مُراقبة الميت حفل تأبينه ،في ذات الوقت يضحك ليس ضحك الفرح ولكن ضحك السخرية والصدمة.

ولعل من أهم القصص القصيرة جدا القائمة على تضاد واضح تضاد الربح والخسارة، الفرح والحزن، الانفراج والعقدة، الحظ الجيد والقدر التعيس أقصوصة "خيبة"

"انكبّ يتصفّح الأرقام...تهلّل ...انفجر يرقص أملا...ورقة يانصيبه رابحة...فيما هو يفتح نافذته، مخططّا للمال الوفير الآتي،هبّت ريح، غيبّت الورقة ..."

ما نلحظه هو تتالي الأفعال ،الفعل تلو الآخر وهو ما يخلق حركيّة أكبر داخل القصة القصيرة جدا، ما سبق وقلنّا.حركية تساهم في تأزم الأحداث وسير العقدة نحو ذروتها ثم انفراج بخسارة

نخلص إلى أن نجوى العريبي نوعت شكل أقصوصاتها وموضوعاتها وسافرت بنّا نحو قيم عدة متنوعة

«الحايك» لباس المرأة القيروانيّة موروث تقليدي بامتياز مهدد بالإندثار

نجيب زرّوق - باحث من مدينة القيروان

تختزن مدينة القيروان(1) عبر تاريخها على الكثير من الموروث الثقافي والحضاري بشقيّه المادي واللامادي من هذا الموروث الذي تتفرد به المدينة هو لباس الحايك التقليدي .

تعريف الحايك

من فعل حاك ويَحِيك، حِيَاكة أي خاط الثّوب ونَسَجَه وهو لِبَاس حضري تقليدي شبيه بالسفساري وهو عبارة على نسيج يدوي يصنع من صوف الغنم العربي الممتاز ونادرا ما يكون من القطن تحتجب به المرأة القيروانيّة عن عامة قومها وعن عيون الأجانب تحفظا على جمالها وسترا لمواطن الإغراء في بدنها وهو حجاب مميّز تضعه أو تشتمل به بالكامل(2) .

تاريخ الحايك

يذهب البعض من المؤرخين إلى القول بأنّ الحايك تم جلبه مع المهاجرين الأندلسيين الى شمال افريقيا خلال فترة تهجيرهم وكان لباس خاص بالمرأة الأندلسيّة ثم أصبح لباس نساء الحواضر كتونس والقيروان وقسنطينة وغيرها من المدن(3)، غير أن بداية ظهور اللباس المحتشم تعود إلى زمن الرسول صل الله عليه وسلم بل حتى قبل هذا التاريخ فالحايك ليس سوى أحد أحفاد البردة والخمار اللذين اشتهرا في الجاهلية وصدر الإسلام بالجزيرة العربية، وله قرابة كبيرة بجلابيب الراهبات النصرانيات منذ ما قبل الإسلام كما بأزياء النساء العبريات منذ مملكتي يهوذا وإسرائيل، أما سبب هذه القرابة المثيرة فيرجع إلى اشتراك الأديان التوحيدية الثلاثة في مبدأ أخلاقي عالمي يتمثل في ستر مفاتن النساء، وتنقل لنا المصادر الإفريقية في الفترة الوسيطة أسماء بعض الألبسة للمرأة القيروانية تتشابه مع الحايك في المضمون وإن إختلفت التسمية مثل : (الملحفة(4) والمعجر والمقنعة والجلباب والخمار والإزار(5)) وربما تؤكد على تجذر هذا النوع من اللباس وتواصله إلى وقتنا الحاضر .

سيّدة قيروانيّة ترتدي الحايك في بهو الصحابي أبو زمعة البلوي

صورة للحايك التقليدي

خصوصيّة الحايك القيرواني

الحايك القيرواني له خصوصيّة يتميّز بها في طريقة صناعته وكذلك في طريقة إرتدائه خلافا للحايك في تونس المسمى بالسفساري يصنع من الحرير أو القماش ويوجد منه كذلك في الجزائر يشبه السفساري التونسي ويقال أن للحايك ميزة فهو دافء في الشتاء وبارد في الصيف ويعرف الحايك الأكثر جودة إذا كان قليل الصوف أي رقيقه .

أنواع الحايك

يوجد نوعان من الحايك الحايك الأسود : ترتديه في العادة المرأة الكبيرة في السن أو عند الذهاب إلى دار الميت ويقال أيضا للمرأة المطلقة والحايك الأبيض : ترتديه الصبيّة أما اليوم فقد تعددت الألوان التي يصنع منها الحايك (عل كل لون يا كريمة) ويخبرنا السيّد محسن النابلي حرفي في المنسوجات بحومة الجرابة أنّ الحايك الأسود كان يستعمل في السّابق كحاجز في حفلات الأعراس للتفريق إذا إلتقا الجمعان النساء والرجال في وسط الدار العربي لتجنب الإختلاط، وكان الحايك سابقا يوضع ضمن جهاز العروسة القرويّة الذي يحتوي على العبائن الصوف والزربيّة والنّحاس والأخير لا يزال إلى اليوم معتمدا كأساس من أساسيات الجهاز .

تراث غير مادي

طريقة إرتداء الحايك

يتميّز الحايك بطريقة الإلْتِحَاف الخاصة أو التّلْحِيفة والتي تتكون من قطعة واحدة طولها : 6 أمتار تغطي سائر الجسد وتستثني من ذلك العينان وهذا ما يميّز الحايك القيرواني ويمنحه ميزة تضفي جاذبيّة على المرأة التي تلتحف به وتسمى طريقة الإلتحاء في هذه الحالة بالغمبوز(6) Gambouz، ويتطلب لبس الحايك مهارة وإتقان تكتسب مع الوقت، والقليل من النّساء القيروانيّات في وقتنا الحالي من تتقن فن الإلتحاء بالحايك نذكر من بينهن(السيدة سكينة مدر والسيدة جميلة مالوش) .

أخيرا الحايك هو لباس تقليدي ورمز للأصالة تتميّز به المرأة القيروانيّة أستعملته في ماضي الأيام في تنقلاتها خارج المنزل وفي حضورها للمناسبات العامة أو لقضاء شؤونها الخاصة غير أنّه لم يعد بنفس الأهميّة والإقبال الذي كان عليه في السابق بسبب تغير العادات ونمط الحياة والذائقة الجمعيّة مع ظاهرة تفشي العولمة الثقافيّة التي إكتسحت مجتمعاتنا وغيّرت معها أسلوب العيش في المأكل والملبس وعزوف الشباب على تعلّم هذه الصناعة جعل الحايك مهدد بالإندثار، مع ذلك لا يزال البعض من الحرفيين محافظين على أسرار هذه الصنعة نذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر (السيد : محمد الجهيناوي قيدوم حرفيي الحايك بحومة الجرابة والسيّد : محسن النابلي والسيد بلقاسم) وقد سعت بعض النساء من الحرفيات القيروانيات لتطويره ليتلائم مع إيقاع العصر الحديث وفي السنوات الأخيرة أفرد مهرجان خاص للحايك قام بتأسيسه السيّد : فؤاد العلاني إقيمت دورته الأولى في جانفي 2024 إحياء لهذه العادة التي تعبّر عن موروثنا الثقافي اللامادي ومن ضمن الأهداف التي يسعى المهرجان لتحقيقها :

- المحافظة على الإلتحاف بالحايك ولو في مناسبات معيّنة وكذلك على تقنيات إرتدائه .
- المشاركة في دعم إستعمال الحايك كمنسوج والمحافظة على تقنيات حياكته .
- المشاركة في ترويج هذا المنتوج ما يدعم الحرفيين لكي يواصلوا المحافظة على حرفتهم .
- المشاركة في تنشيط المدينة ثقافيا وإقتصاديا .
- الترويج للقيروان كقطب للسياحة الثقافيّة .

ويوجد ضمن المهرجان كذلك :

- ورشة لتعلّم إرتداء الحايك .
- معرض لمنتوجات الحايك .
- مسابقة ملكة جمال الحايك .
- معرض وثائقي .
- حلقة نقاش .

وهكذا يبقى الحايك كلباس تقليدي عنوان الأصالة والتراث إذ يعكس في مضمونه تعاليم الشريعة الإسلاميّة المبنيّة على القيم النبيلة كالحشمة والأنوثة والعفة والوقار ويختزل عادات وتقاليد أجدادنا في ذلك المجتمع التقليدي الذكوري المحافظ على أمل أن يتم مستقبلا تسجيل الحايك القيرواني كتراث لا مادي لدى منظمة اليونسكو .

خرجة نسائيّة إستعراضيّة بمناسبة مهرجان الحايك في مدينة القيروان

سيدات يرتدين الحايك القيرواني

المصادر والمراجع :

1) مدينة القيروان أسسها عقبة بن نافع سنة 50 هـ / 670 م وهي أول مدينة إسلامية لقبت برابعة الثلاث بعد مكة وبيت المقدس والمدينة المنورة، وتعتبر القيروان أيقونة الحضارة العربية الإسلامية بشمال افريقيا ومركز الفتوحات الإسلامية التي انطلقت منها الى غرب المتوسط : الأندلس، مالطا وصقلية ...

2) القيروان ص : 166 د. المنجي الكعبي دار سيراس للنشر طبعة ثانية 2009 م .

3) / منوعات / الحايك-ثوب-تراثي-عاصر-تاريخ-النساء-في-الجزائر https://www.independentarabia.com/node/376061

4) هو الكساء فوق سائر اللباس (Dozy dictionnaire p : 401 – 403 paris 1967)

5) راجع ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك للقاضي عياض ص : 122 / 615 ج : 2 ـ 3 تحقيق محمود أحمد بكير منشورات دار مكتبة الحياة بيروت د.ت / المالكي أبو بكر بن عبد الله بن محمد رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ص : 167 ج : 2 تحقيق البشير البكوش مراجعة محمد العروسي المطوي دار الغرب الإسلامي بيروت 1983 .

6KAIROUAN la durée p : 175 ,) Abdelwahab Bouhdiba , Mohamed Masmoudi . , SUD EDITION – tunis 2010

تظاهرة «لوّن صيفك» بدار الثقافة النموذجية ببن عروس :

مهرجان الطفل والعائلة

هيام الفرشيشي

تحت إشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بولاية بن عروس، نظمت دار الثقافة النموذجية ببن عروس الدورة السابعة من تظاهرة " لوّن صيفك " : مهرجان الطفل والعائلة وذلك من 24 إلى 31 أوت 2024 بساحة الفنون ودار الثقافة النموذجية ببن عروس. وهي تظاهرة مهمة في توقيتها وفي ثراء برمجتها ومراعاتها لقدرات وامكانات الطفل، وكيفية تنمية استعداداته الكامنة في أجواء من البهجة...

الهدف من هذه التظاهرة: " لوّن صيفك" حسب مديرة دار الثقافة النموذجية ببن عروس السيدة نجوى اللوحي هو السعي أساسا إلى تمكين الأطفال والعائلات من ذوي الدخل المحدود من فرصة الاستمتاع والترفيه، وتسهّل عملية الانتقال من فراغ العطلة الصيفية وكسلها إلى كدّ ومسؤولية السنة الدراسية الجديدة بكل سلاسة. وما ميز التظاهرة هذه السنة هو العمل حسب مواضيع وزوايا نظر مختارة، كما كان الجمهور وخاصة العائلات مشاركا في التنشيط في مسعى إلى تأكيد أهمية القرار والعمل التشاركي للنجاح في الحياة".

افتتحت الدورة السابعة من تظاهرة " لون صيفك" مساء السبت 24 أوت 2024 بعرض ماجورات أوذنة وماسكوت جابت شوارع مدينة بن عروس، ثم عادت إلى ساحة الشهيد زهير اليحياوي للفنون حيث كان للأطفال والعائلات لقاء مع التنشيط والمسابقات مع عمّو سامي ومجموعته. وقد شهد الافتتاح كعادته اقبالا عائليا غفيراً ساير الماجورات في جولتها بشوارع بن عروس وواكب العرض التنشيطي" جونا صيافي " لعمو سامي بساحة الفنون.

عروض سينمائية ومسرحية مسائية

من المواعيد اليومية القارة في هذه الدورة تقديم العروض المسرحية والسينمائية والكوريغرافية. من بينها العرض السينمائي " حكايات صغار"، عرض " هيا نرقص" للفنان قيس بولعراس، كاروكي عائلي، عرض تنشيطي " عالم الصغار" لمجموعة عالم الفن، عرض " في رواية أخرى" لشركة بيوميزوس للإنتاج. عرض موسيقي عائلي..

ومن المسرحيات الهادفة التي قدمت يوم الأحد 25 أوت 2024 مسرحية "الكنز الثمين" لمركز الفنون الدرامية والركحية ببنزرت. وهي مسرحية تحث على اهمية القراءة وطلب العلم لتعزيز القيم الانسانية وتطوير المجتمعات وقد شدت انتباه الكبار والصغار (صوتا وصورة وموضوعا).

ومن العروض الفنية التي شدت الأطفال لقاء يوم 28 أوت مع الفنان المبدع العروسي الزبيدي صاحب الحنجرة الذهبية واللكنة الجريدية الجميلة... حملتنا حكايته وأغانيه إلى أجواء الأرياف بقصصها وعاداتها وتقاليدها... فكانت فسحة من الصفاء والصدق عاشها الصغار والكبار على حد السواء.

التنمية البشرية وآفاق الحوار بين الأجيال

التنمية البشرية والثقافة العامة والمسابقات العائلية لم تغب عن كل أيام التظاهرة ليخصص كل يوم لموضوع مختار بعناية، وعلى سبيل المثال كان موضوع العائلة والعلاقات بين أفرادها موضوع الأنشطة المختلفة، ليوم الاثنين 26 أوت أما الفنون التراثية فخصص لها يوم الثلاثاء 27 أوت. في حين كانت البيئة ومشكل شح المياه على طاولة اللقاء يوم الأربعاء جوان28 أوت..

وقد اثث الأطفال والأولياء حلقات النقاش بحواراتهم وتفاعلاتهم... فاستفاد واستمتع الحضور من تجاربهم.

ورشات ابداعية يومية

إلى جانب العروض الفنية البصرية وحصص التنمية البشرية انعقدت الورشات اليومية الإبداعية المختصة. من بينها ورشة الرسم مع الأستاذ منذر الجويني. وكانت متنفّسا للأطفال ليعبّروا، ليبدعوا، ليلوّنوا طفولتهم بألوان الفنون... كما نجد ورشة طي الورق التي أمنتها السيدة لبنى الطرودي، وأبرزت براعة الأيدي الصغيرة الماهرة وإمكانية تدريب الأطفال على التركيز للحصول على مجسمات جميلة. فالانهماك في العمل اليدوي فرصة للابتعاد عن الهواتف ووسائل التكنولوجيا واستعمال الأيدي وكل الحواس دون مضرّة.

ومراعاة لأجواء الصيف خصصت وورشة صناعة المشموم التي أمنتها السيدة نجيبة صميدة، حيث حاولت أن تستحثّ خيال الأطفال لصناعة مشموم بما توفر لهم من مستلزمات...

والنتيجة كانت زهرات جميلة كجمال الأطفال أدخلت البهجة على قلوب الأباء والأمهات الذين حصلوا عليها كهدايا من أبنائهم.

وكان السؤال الذي يفرض نفسه: كيف نتخيّل شيئا ما ونحاول صنعه؟ هذا السؤال هو البداية في تاريخ كل الاختراعات.. سؤال الخلق والإبداع..

والتأمت ورشة صناعة الحلي التي أمنتها المنشطة نسرين العجلاني. هذه الورشة التي لاقت اقبال الفتيات الصغيرات خاصة. حققت الإحساس بالفخر فالأنامل المبدعة تصنع أشياء جميلة قد تهديها أو ربما تتزيّن بها... هكذا عبّرت إحدى المشاركات.

ورشات كثيرة ومنوعة انعقدت في هذه التظاهرة من بينها ورشة الرسكلة مع الفنان التشكيلي كمال الشيخاوي، الألعاب الدرامية مع الاستاذة وفاء عميري، صنع العرائس مع الاستاذ عبد السلام جمل. والحكاية والتشخيص مع سهام الحارزلي.. ورشات القصة المصورة والتدوير مع مروى الطويهري.

التعبير الجسماني والرقص

ارقص بالساحة ولا تتعب... قد أوشك صيفك أن يذهب:

الحركة والتعبير الجسماني عنصران هامّان في حياة الطفل، وقد أتاحت تظاهرة "لوّن صيفك" المجال للطفل ليتحرّك ويرقص ويعبّر بكل حرية بجسده وصوته وكلّ حواسه. لأنه للأسف الشديد ونظرا لضيق المنازل لاعتقاد أن حركة الطفل نوعا من العبث، أو أن الطفل الذي يبالغ في الحركة هو طفل غير عادي.. أهمل التعبير الحركي التلقائي عند الطفل..

منشّط الرقص "دودو" علم الأطفال الكثير من الرقصات. وقد تفاعل الأطفال مع هذه الرقصات واستمتعوا بالتناسق الحركي بدنيا ومزاجيا. ذلك أن هذه الرقصات مهمة للصحة العقلية والنفسية للطفل، يبدو من خلالها أكثر سعادة ونشاطا وتمكنا من اكتساب القدرة على التركيز واكتساب المهارات عبر انشطة الورشات.

الاختتام

كان الاختتام عرضا يحتوي على كل مخرجات كل هذه الأنشطة إلى جانب حفل موسيقي لكامل أفراد العائلة. وبذلك اكتست تظاهرة " لون صيفك" أهمية من حيث إقبال عدد مهم من الأطفال والعائلات عليها يوميا.. فهي تساعد الطفل على تحسين مزاجه والتعبير الحركي والحسي والذهني واليدوي وتحقق الانسجام بين حاجيات الطفل للابداع والترفيه.. بل اشعرت الأطفال بالنظرة الايجابية خاصة وانهم يستعدون للعودة المدرسية قريبا..

الأسبق في الزمن هو الأسبق في الحق :

يسرى محنوش «سيدة الطرب» منذ سنة 2012

أحمد بن حسانة (محامي وخبير في التشريعات الثقافية والفنية)

يسرى محنوش مطربة تونسية شابة ناجحة صاحبة صوت جميل ومميز ومفعم بالإحساس، يجمع بين القوة والعذوبة والاقتدار، تعد من افضل الأصوات العربية حاليا، نجحت رغم الصعوبات في فرص نفسها وطنيا وعربيا، فكان أن منحها القيصر كاظم الساهر لقب «سيدة الطرب» منذ سنة 2012 اعترافا لها بجمال صوتها وبقدرتها على التطريب وغناء مختلف الألوان الطربية..

وقد حملت يسرى هذا اللقب منذ ذلك الوقت والتصق بها وعرفت به وطنيا وعربيا وكان يكتب على صفحات المجلات والمواقع ومختلف المطويات والمعلقات والاعلانات والعقود ...

فكنا على ذلك حتى فوجئنا منذ أشهر بنجاة عطية تحاول أن تستولي على نفس اللقب من صاحبته بعد أن أضاف إليه الاعلامي سمير الوافي كلمة «الأولى» فأطلقت على نفسها «سيدة الطرب الأولى»..

لا شك أن نجاة عطية فنانة كبيرة من الطراز الرفيع ذات صوت جميل ومقتدر وذات مسيرة طويلة وثرية وهي من خيرة من أنجبت تونس في جيلها الى جانب ذكرى محمد وأمينة فاخت وأخريات.. وأنا شخصيا من محبيها ومن عشاق صوتها وطريقة أدائها وسعدت كثيرا بقرار عودتها للغناء..

لكن وفي خضم كل ما يحدث أرى أن الخطأ قد بدأ بمحاولة الاستيلاء على اللقب من صاحبته حال إنه توجد ألقاب لا حصر لها كان بالامكان اختيار أحدها أو الاستلهام منها أو استنباط لقب جديد بدل محاولة السطو على لقب موجود، له صاحبته وعرفت به منذ 12 سنة وأطلقه عليها فنان عربي كبير ..

وإضافة عبارة «الأولى» للقب موجود لا تعني شيئا ولا يمكن أن تبرر محاولة الاستيلاء عليه، وإلا فلا نستغرب مستقبلا بمن يلقب نفسه بالعندليب الأسمر الأول أو كوكب الشرق الأولى أو سيدة الغناء العربي الأولى أو فنان العرب الأول أو القيصر الأول أو سلطان الطرب الأول أو أمير الغناء العربي الأول أو الديفا الأولى أو وحش الشاشة الأول والقائمة تطول ...

وقد نتجاوز ذلك لألقاب المدن فنسمع عن عاصمة الجنوب الأولى أو جوهرة الساحل الأولى أو رابعة الثلاث الأولى..

أرى أن هذه الأمور من شأنها زرع الفتنة وإثارة الصراعات

الوهمية والمجانية وكان يمكن تجنبها وما كان ينبغي للفنانة القديرة نجاة عطية أن تستدرج لها فتجد نفسها في صورة المخطئة في حق فنانة شابة بمثل ابنتها يفترض أن تكون العلاقة بينهما جيدة وقائمة على المحبة المتبادلة والتشجيع والتناصح والتعاون..

القضية ليست في «من الأجدر صوتيا لحمل هذا اللقب» أو «أي الفنانتين أكبر سنا» بل في سبق حمله من يسرى محنوش باثني عشر عاما ..

الأسبق في الزمن هو الأسبق في الحق ...

هذه الألقاب الفنية سواء في تونس أو في الوطن العربي أو في العالم هي ألقاب مجازية تغلب عليها الشعرية، يطلقها فرد سواء كان فنانا أو صحفيا أو كاتبا أو مذيعا .. في جلسة خاصة أو على صفحة مجلة أو جريدة أو في بث إذاعي أو تلفزي..... ثم تبدأ بالانتشار تدريجيا عبر وسائل الإعلام وتترسخ رويدا رويدا لدى الجمهور ثم تلتصق بالفنان الذي أطلقت عليه.. وهذا تماما

ما حدث بالنسبة ليسرى محنوش ولقب «سيدة الطرب» الذي أطلقه عليها الفنان الكبير كاظم الساهر سنة 2012...

وشاءت الأقدار أن لا أحد سمى فنانا بهذه التسمية في الماضي في تونس وخارجها الى أن أطلقه كاظم على يسرى محنوش التونسية، فهنيئا لها به.

عبد الحليم حافظ لقبه الصحفي جليل البنداري «العندليب الأسمر»، وأم كلثوم لقبها المذيع محمد فتحي «كوكب الشرق» وكاظم الساهر نفسه لقبه الاعلامي ربيع هنيدي «بالقيصر» وفي رواية أخرى لقبه نزار القباني...

ومحمد عبده لقبه الرئيس الحبيب بورقيبة «فنان العرب» وفي كل الحالات أرض الله واسعة واللغة العربية بحر والألقاب الممكنة والمجازات لا حصر لها.. فلماذا «التحكحيك» ومحاولة السطو على ألقاب الآخرين؟

والفنانة القديرة نجاة عطية بعد كل هذه المسيرة الحافلة، ليست في حاجة إلى السطو على لقب موجود ليس لها، بل له صاحبته، ففخامة الاسم تكفي..

صورة تتحدّث

شخصيات جربية

ما يعرفوهم كان الجرابا الصحاح من رواد حومة السوق ولكل واحد منهم أثره و#ذكريات اما لشهرته في صنعته او لمواقفه الطريفة ونوادره او لوجهه المألوف عند الجميع ومنهم أصحاب المنية ؛

واذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر سعد الملح أشهر كسكروتاجي في حومة السوق... حمد دحسة براح زمان... صادق بن قيراط (أقدم ملاخ في حومة السوق كان في سوق الربع في رواق الخياطين لليوم نولج على صوة ليه قدام حانوته لا لقيت)... شتيوة لي يبيع في حلوى قدام المدرسة... الطبيب بولكباش... والطبيب سعيد ربانة... عمر مسلم اول حرس مرور شفناه على الموتوريزي في جربة... الشرقي والبرزيان دلالة الحوت... بشير النجار الكسكروتاجي الرجل السمح صاحب النكتة والإبتسامة الدايمة... مرطبات غريب لي كانت بجب قهوة بن دعماش... أشهر كاليس كان في حومة السوق اسم مولاه غاب عليا... بشير الميساوي صاحب أطول شنبات... تاكسي بوقراص وعروة وبوطار لي تغنوا بيهم... بربو وابراهيم العوجة باعة الوزف في المرشي... الزيس بائع الملسوقة ...

منطة وولدها بوناني... أوليدو... حميدة البايلي... عرجون... مصباح مارس... الساطوري... محمود الصداع... شدولة... وغيرهم والقائمة طويلة لي يحب يزيد... الله يرحم كل من توفاه الأجل وكل موتى المسلمين وربي يطول في عمر لي عايش منهم.

وانت شكون تعرف منهم وعلى شكون خلط منهم ؟؟

الرسّام التّشكيلي سمير شوشان :

الرّسم نهج المقاومة في تعدّديّة المشغل

المنذر العيني

تشترك الفنون جميعها في توليفاتٍ تعريفيّة متعدّدة، فلئن عبّر فيلسوف الجماليّات موريتس ويتز عن اختلاف مفهوم الفنّ عبر الزّمن فإنّ لودفينغ فتكنشتاين شبّه طبيعة البحث لمفهوم الفنّ بطبيعة الألعاب حيثُ توجد خصائص متنوّعة ومشتركة بين جميع الألعاب بينما رأى الشّاعر هربرت ريد أنّه لا توجد إجابة بسيطة حول مفهومه.

رغم ما يبدو من مفارقات حول هذه الآراء إلاّ أنّ المفاهيم الّتي تريد حركة الفنّ داخليّا تلتئمُ عند نقاطٍ ائتلافيّة تشترك في وحي هذه الأرواح، هذه الأجساد،وهذه الأيادي، هذه الوجوه وهي تتعالى بتعبيراتها الحيّاتيّة تُصوّر الحقيقة على شاكلة وأخرى، تتنوّع من فنّ لآخر وتوهمنا أنّنا وصلنا، ولكنّنا لم نصل.

الحركة الفنيّة بهذا المعنى تواصلٌ حيٌّ، ومجادلةٌ في الدّاخل المقاوم فينا، إذ لاسبيل لبناء صيرورة تجتاز الموانع إلاّ ذلك الإصرار الّذي يُنهي علاقةً ليبدأ أخرى وتبدأ معها ولادةٌ وتنشأ معها حياةٌ. الفنُّ أكوانٌ من مشاغل وورشات، ولكنّهُ أيضًا ضربٌ من رؤى لا تنتهي مع نهايةٍ حتّى تبدأ من جديدٍ.

الرّسمُ نهجُ مقاومة

حالنا اليومَ مع متفرّدٍ يداومُ حياتهُ في التّشكيلِ منذ تلك التّسعينيّاتُ الولودة في تونس المقاومةَ والاحتراز، تشنّجٌ فنّي لا يمكن تأطيرهُ مع الفنّان الرّسّام التّشكيليّ: سمير شوشان، والورشةُ قائمةٌ على قدمٍ وساقٍ منذُ أن انحاز إلى الألوان، والرّفضُ يتبعهُ. رَفضُ إملاتِ العائلةِ والمجتمعِ معًا، واتّبعَ هواهُ في أن يحملَ حصانهُ الخشبيّ ويشرعَ في تقويمِ تأسيساته عن الرّسمِ. حدّثني قالَ :» بدأتُ من الصّفر، كانت يدي ترسمُ كلّ شيءٍ وأنا في صفوف الدّراسةِ، الوجوهَ والسّحناتِ، الأبعادَ والأضدادَ، الظّلال وهي تغطسُ في الضّوء، الضّوءَ يختلفُ ويأتلف على المواشيرِ والمكّعبات، ظللتُ مسايرًا لرغبتي حينَ أطحتُ بشخصيّتي تتكاملُ في المعملِ، من

معملٍ إلى آخر، مع الطّيب الحاج أحمد، ومع غيرهِ من وجوه الغريبةِ، استمعتُ إلى تاريخ الرّسمِ، قصدتُ معرفتها عبر القراءات، لم يكن سهلاً عليَّ أن أتصفّح، أن أتصافحَ مع جهابذةِ مدرسة تونس للفنّ التّشكيلي، أنا تلميذهم من حيثُ لا أدري، أدري ما معنى الملاحقة، ما معنى أن أعتني بآل التّركي وأن أغوص في تعريجات القرجي وأن أمنح لنفسي شرعيّة فرحات عمّار في أن يرسمَ أفراحنا وأترحنا بالزّرقة، بالغامق التّوسيّ في ملءِ الفراغات.... الرّسمُ يا سيّدي داوئي من عنف هذا المجتمع الآخذ في الشرّ، هذه الزّاوية تمنحني الرّاحة الطّمأنينة. الرّسمُ اللّوحاتُ، شؤون الغيب على القماشة حلقة تصوّف بالنّسبة لي، فلْيتركوني بسلام» قالها بمرارة تعبيرة الدّوعاجي عن الفنّ والفنّانين.

هو ابن القلعة الكبيرة، كانت له أيّامٌ وتواريخُ مع هذه الهواية الغواية حتّى غايرَ بها مجايليه، وصعد شيئًا فشيئًا، مع المعرفةِ مع الأداة تفي وتخونُ، مع الفكرة تذهبُ وتجيءُ، بينما الحدثُ الرّئيسيُ ينفرجُ أيضًا أو ينفتحُ من رسمةٍ إلى أخرى ومن قماشةٍ إلى أختها.

أسّسَ بيتهُ، «دار نجمة» جمعيّتهُ وقد أدارها باقتدارٍ ويديرها إلى اليومِ، منها يكسبُ شرعيّته، كينونتهُ تتسامى عن التّفاهات. مقرٌّ ثريٌّ ومكتبةٌ وبلّوراتٌ ومسالكٌ وخيوطٌ وعلبٌ وأدهانٌ، الوجوهُ تناسبُ انطباعًا وتجريدًا، والفضاءُ مكانُ ألفةٍ وألافٍ يجمعُ بين أحضانه أطفالٌ وطلبةٌ جاؤوا يرسمون يقرؤون يحييون حياتهم الثّانية، حياتهم الثّانية وهم يجرؤون على الحقيقة، يفرحونَ فرحَ البدايات وهم يمسكون بالفرشاة.

مقرٌّ تجدوهُ في المسلك السّياحي داخل المدينة العتيقة بمدينة سوسة، في جوفها، الباب القبلي، مقرٌّ للسّياحة الثّقافيّة أيضًا، المعنى التّونسيُّ ليسَ أكلٌ وشربٌ في الدّيار النّزل السّياحيّةِ المنشورةِ كالفقاقيع هنا وهناك، هذا مقرّ جدّي يجبُ علامته في وزارتي الثّقافة والسّياحةِ معًا حتّى يُعتمدَ في زيارات الضّيوف من كلّ أصقاع العالم» دار نجمة للفنون».

نعودُ إلى ساكنها، سمير شوشان، أو سيزيف الفنّ التّشكيلي في سوسة، يرتّبُ جداوله من أجل حياةٍ لا ئقةٍ بعد مسارات من الشدّ والجذب مع المؤسّسة، وهو يقوم ويقعد، يحاولُ أن يكون، يعدّدُ إمضاءهُ بين رؤيةٍ وأخرى غيرَ أنّ هذه الفسحات تندمجُ لتخلقَ حدسًا فنيّا تشكيليًّا إذا جاز القول «ثوريًّا مباغتًا» تحتملهُ التأويلاتُ وتعزّزهُ مردوديّاتٌ قياسيّةٌ تبرهنُ عليها الرّيشةُ والألوان.

سمير شوشان: في تعدّدية المشغل

سمير شوشان، لايستقرُّ على نمطٍ معيّنٍ في الرّسم فهو يغمز داخليّا لجذبٍ خاصٍ لطلبٍ جوّانيٍّ يُحفّزه على انهاء اللّوحة أو على إبطاء تجليَتِها على مرأى وعلى مسمع من زائريهِ، ولأنّه سوّاحٌ بين الثّنايا تأخذه رعشة الانتماء إلى فضاءات المدينةِ العتيقةِ إلى ظلالها إلى وجوهها المتحرّكةِ والصّامتةِ، إلى حركتها على مسرح

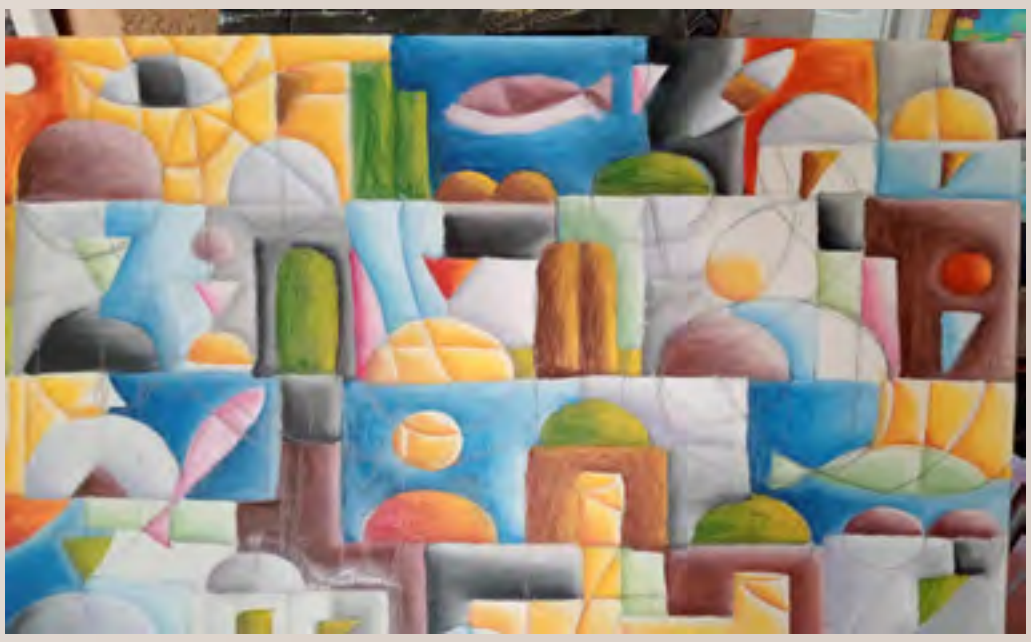

الأحداث، فالهامشُ مركزٌ أيضًا، لذلك نشهدُ عددا من لوحاته تؤرّخ معاناة صاحبها في رصد الأقواس والأبواب والنّوافذ والقبّة المميّزة للجامع الكبير، والمعلّقة من النّوافذ والإطلالات وهو يداور الألوان من الزّرقةِ الفاتحةِ إلى الصّفرة تهبطُ إلى دَكانتها، إلى الاحمرار المفاجئ فالألوان ألوانٌ تونسيّةٌ بامتياز، تنيرُ وتغيرُ وتفضحُ خجلّها المتوسّطي التّاريخي والغائر،تطرحُ هوّيتنا من جديدٍ على دائرة اللّعب، فالتّشكيلُ عالمٌ للحديثِ ليسَ على التّقنيةِ فقط أو على التّكتيك، على الرّوح الّتي تجّشمت عناء الفكرة وهي تنفتحُ على أفكارٍ أو مفاهيم في جعل تساؤله أو نحته تشكيليّا يمدُّ اليد إلى حوافر مرّت على ذاكرتنا الفرجويّة التأمّلية من جداول تشخصيّة تأمّليّة تبرز من حينٍ إلى آخر من السّهيلي إلى بلاّغه إلى غيرهم من حاملي الرّيشةَ بدايات المسار التّونسّي التّونسيّ في هذا الكفاح التّعبيري.

لوحاتٌ تعبرُ المدينةَ لتناور في الضّيقِ، في فنّ البورتريه، تحت طلبٍ، أو مجابهةً في نقد نفسهِ أو في تذّكرها عندما يشدّدُ على الحنين إلى بداياته، هذا الدّغباجي بسحنته المغبرّة تخرج من تاريخ حركةٍ إلى تاريخ حركةٍ جديدةٍ يحييها سمير بشفافيّةٍ عاليةٍ تمرّ أمامهَ ملزومة «الخمسة الّي لحقوا بالجرّه» وهو يتصاعد باللّون إلى تجاعيد مقاومةٍ لعلّها تتناسبُ مع مقامه الآن. هذا صدّام حسين في كامل بهائهِ يشدّدُ على الوحدة بلحيته الكثّة وشاربه النّتشوي، بينما سميرٌ يُكثرُ من انكبابه على تأطيره، على سيرته زمن انتفاضاتنا ضدّ الهجمة الاستعماريّة الجديدة على بغداد لانتاج مستنقعات الرّبيع العربيّ. البورتيه بورتيهات تأتي تباعًا يغرقُ بانيها في تشطيباتٍ على مقاس الجالسِ أو على تحديدات الصّورة، المهمُّ أن تنتحل اللّحظة الفلسفيّة منها لحظتها حتى تمرّ إلى أخرى، إلى لحظةٍ مؤسّسةٍ لتعبيرةٍ تتعالى بأصواتها اللّونيّة في تجريداتٍ متداخلةٍ تتحاور فيها اجنحةٌ متكسّرةٌ، أو شخوصٌ غير مكتملةٍ تتوازى مع خطوطٍ في الممرّ، أو متنافساتٌ من تشكيلاتٍ من حفريّاتٍ على القماشة تضطلع بالغموض والابهام علّه نسقٌ حدسيٌّ في تأويل العالم وهو يغوصُ ويطلعُ يسطعُ ويغمرُ في ظلال تلويناتٍ من أحاديث وفلسفاتٍ مازلنا نشهدها في ممرّ كلّ شيءٍ فلا نفقهُ منها إلاّ النزر القليل، عالمٌ متحوّرٌ متحوّلٌ يرسمهُ شوشان على طريقته ليمضيَ وشمته التّشكيلية تجذبُ من تجذبه وتنفّر من تنفّرهُ، فالبابُ مشرّعٌ دائمًا في هذا الفنّ، يكفي أن تشتركَ في خصائص لعبيّةٍ موّحِدةٍ تبرزُ في أعمال صاحبها وتجهرُ بنفسها على الحائطِ.

بقائه على أرض المعركة ،يدّخر يدّخر، حتّى يصرف جهده على اللّوحة تتنامى لتسجّل حلمه بانيًا لمشروعٍ لمردوديّةٍ تدافع عن إمضائه في التّشكيل الّذي يداومُ منَ خبرةٍ إلى خبرةٍ ومن معرفةٍ إلى أخرى.

الرّسمُ شأنٌ داخليّ فلسفيٌّ لا ينضبُ، يغرقُ في رسم تونس وجوهًا ومحلاّت، دوائر، عواصف من أسئلةٍ مفتوحةٍ في محنة المعنى.

خاتمة

سمير شوشان نموذجُ فنّان مثقّف، اعتنى ويعتني، بشؤنه الفنيّة بحرص طفوليٍّ أخّاذ لا يهمّه من شيء سوى

الرسم نزعة فكرية ونبذة شعورية ومسرب نفسي في علم النفس

اسمهان الماجري

إن الفنّ شعور وإحساس، هو الحالات النفسيّة للإنسان ،هو الفاضح لنقاط القوة ولنقاط الضعف التّي تعانيها الذات الإنسانيّة ،فالفن إعادة صياغة للألم الإنساني جمالا وإبداعا هو الألم الذي يتحول إلى فانوس أو نجوم أو ضوء إلى بقعة نور عموما،ولكن الفنّ أيضا فكر وفكرة وموقف وقضية أي هو نوع من أنواع المعرفة أو الفلسفة أو العلم لكن بطريقة خاصة بالفن لا بالعلوم الصحيحة والمعرفة المتجهمة الوجه كقوانين ثابتة.

يقول الدكتور والفنان خليل قويعة :» الفنّ في أساسه ثورة فكرية» الفن بالتالي ما عاد على تلك الشاكلة التي عهدناها مسيطرة وهو جملة :هذا ما أشعر به، هذا ما أحس به ،هذه مشاعري هذه أحاسيسي، والاختصار على فكرة أن الفنان كائن حساس،نعم هو كائن حساس ولكنه أيضا هو كائن واع كائن مفكر ويحمل قضية ما ولو ذاتية وجودية. فالفن موقف من الحياة والمعتقدات والثقافة السائدة والعادات والتقاليد والقضايا بكل أشكالها يقول الفنان التشكيلي السوري عبد الرحمان مهنا : «رفضت من طفولتي أشياء كثيرة من مُعتقدات محيطي الذّي أعيش فيه حتّى النوق والصراخ أو البكاء أحيانا، هذا الشيء دفعني إلى الرسم والتعبير عمّا اختزله في ذاكرتي وغالبا ما أندفع بقوة عندما لا أجد أحدا يسمعني، الرسم في عالمي ردّة فعل جريئة اعترضت بها واقعا مريرا عشته وكنت رافضا للعديد من قضاياه»

بالتالي موقف رفض موقف نشوز عن المجموعة أو المجتمع موقف شخص يفكر بطريقة يراها الفنان الطريقة الأسلم وهي طريق الحرية والحياة والسعادة دون قيود من أي نوع ...والرسم ككل فن يمكن أن يكون طريقة عبور للفنان في علم النفس وفي العلاج النفسي في حالات نفسية عديدة حتى أنه تم الاهتمام كثيرا في عالم الآدب بعلم نفس المبدع، نستطيع أن نقول ببساطة أن الفنان إنسان مفضوح بفنه، إنسان عار بفنه يمكن أن يُقرأ من خلال قصيدة أو لوحة أو تمثال، فالألوان مثلا تحظى بعناية كبيرة في علم النفس في فهم شخصيات الإنسان عامة وشخصيات المرضى خاصة فالشخص الذي يعتبر لونه المفضل الأسود لن يكون بنفس طباع من يعتبر اللون الزهري لونه المفضل .....الخ، واللون في الرسم قادر على فضح نفسية الرسام أو فضح ترسبات طفولته أو انتمائه ،فمن يستعمل مثلا اللون الأحمر كثيرا في لوحاته نستطيع أن نتكهن مثلا أنه رسام ينتمي لوطن الحرب فيه قائمة، ومن يتجنب استعماله مثلا في كل لوحاته من الرسامين يمكن أن يكون فيها الرسام يعاني من فوبيا الدم .....الخ

إن الألوان تحديدا قادرة فنيا على كشف الحالة النفسية للرسام من فرح وسعادة أو حزن واكتئاب وأفكار سوداوية فيوصل لنا شعوره وغالبا بطريقة لا واعية عندما ينتصر النفسي خاصة على الفكري في اللوحة، ولقد تناولت العديد من الدراسات علم نفس المبدع، كما اعتمد علم النفس الرسم مع الأشخاص العاديين والمرضى لا الفنانين بالضرورة كي يتوصل إلى تشخيص حالاتهم المرضية يقول جون ن باك في كتابه «دراسة الشخصيّة عن طريق الرسم : اختبار رسم المنزل والشخص والشجرة في مثال رسم الظلال : «الظلال :يذكر باك أنه في بضعة آلاف من الرسوم التي فحصها لم يجد إلا شجرتين فقط رُسمت لهما ظلال وكان التفسير في كل من الحالتين أن الظل يُمثل عاملا من عوامل القلق في المستوى الشعوري نتيجة علاقة غير مشبعة في الماضي السيكيولوجي محسوسة بوضوح في الحاضر السيكيولوجي» كما يمكن لتفاصيل رسم شجرة على مستوى المكان أن يؤدي إلى تفسير نفسي لحالة المريض يقول باك متحدثا عن مريض ما : «يحدث أحيانا أن يرسم منزلا خارجيا بجوار منزل ضخم يبدو كقلعة أو يرسم مخزنا كبيرا للقمامة في الردهة الأماميّة للمنزل ويعتقد أن مثل هذه التفاصيل ترمز عادة إلى مشاعر عدوانيّة قد توجه أحيانا نحو الذات «

نلاحظ أن الرسم أيضا إضافة لكونه منظومة شعورية وأخرى فكرية هو أيضا منظومة نفسية تولد من المنظومة الشعورية لأن النفسي على علاقة وطيدة بعوالم الشعور لا عوالم الفكر .

وبهذا يكون الرسم طريقة لفهم الكثير عن بعض المشكلات التي يعانيها الشخص العادي، وطريقة لفهم العوالم النفسية الداخلية للمبدع وإن كان مثلا يميل إلى الهدوء أو إلى كثرة الحركة، لين الطباع أو سريع الغضب .....الخ

فضاء الإبداع

قصة

الوشاح

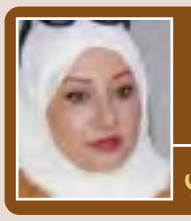

دنيا ربيعي

أعطني مهلة، يوما أو اثنين، أرتّب فيها خزانة ملابسي. أغلق النّوافذ المشرّعة. أمحو خطايا قلبي طيلة فترة ابتعادك عنّي. لا تهدّدي بالغياب مرّة أخرى. أنا لا أطلب سوى هدنة قصيرة المدى. ماذا قلت؟

أدارت وجهها عنّي. أشاحت رياح الشّرق، بعد انزياح قطعة القماش الّتي لفّت بها رقبتها، عن سحر طالما حلمت عيناي برؤياه مرّة أخرى. جيد أملس، لا هو ناصع البياض ولا هو ذو ملمس حريريّ ولكنّه كان يوما لي في ما مضى. كنت ألامسه بأناملي فأقترب منها أكثر. كان ذاك الجيد المُغطّى سلّما أرتقي به إلى محيّاها البريء. أصعد درجة درجة، كنت أمسك بجيدها بكلتا يديّ. تقترب منّي أكثر، أدفن فيه آهات أيّام خلت بدونها. أتلمّس صلابته. أقلّب فيه دفاتري القديمة فلا أشتمّ غير رائحتها. رائحتها الّتي غطّت كلّ قديم. ما عاد يعنيني غيرها. شطبت كلّ الدّفاتر. فنثرت زخّات مطر متتالية على ذلك الجيد يمنة ويسرة حتّى أنتشي. ومن ثمّ أرفع رأسي، فأجدها مغمضة العينين، مرتخية الرّأس إلى الوراء. لا تعتمد لتثبيت توازنها إلاّ على يديّ البائستين المعلّقتين على جيدها. ثقتها العمياء فيّ هي الّتي سرّعت دقّات ساعة الغرور لديّ.

كان ذقنها حادّا، مرتفعا قليلا إلى الأمام وكأنّي بها تساعدني على اجتياح جنّة مهجورة أو ربّما هي جنّتي المُوعودة.

فيها من الرّقة والأنفة ما جعلها تهجر كلّ جميل عشناه وترحل بعيدا إلى عالم لا أستطيع المرور إليه إلاّ بجواز وأنا أفتقر هذا الجواز.

سرعان ما لفّت الشّال على رقبتها مرّة أخرى ولم تأبه لكلماتي وتوسّلاتي وأخبرتني أنّها عادت لتسقي غابات الكرم المهجورة وأنّها التقطت بعض الصّور بجانب أشجار الكلبتوس. أخبرتني أيضا أنّ لقياها كان محض صدفة وأنّ زخّات المطر انقطعت منذ ذلك الوقت.

خطت خطوة الرّحيل الأولى ولكنّي أمسكت يدها بقوّة حالما استقطب وعيي كلماتها الأخيرة. "زخّات المطر انقطعت منذ ذلك الحين". أي أنّ الجفاف حلّ بها كما حلّ بي، أي أنّها تخبرني، أي أنّها تهديني الفرصة، أي أنّها مازالت لي، إنّها تحبّني.

الغرب وبلاده الباردة يغرقان في زخّات المطر. والشّرق يستجدي تلك الزّخات بصلوات تلو الأخرى. صلوات استسقاء كلّ شهر. يدعوننا إلى التّجمّع خارجا في بطحاء نادي اللّه أن يرحمنا بغيث نافع. فالأرض جدبت والشّمس أحرقت كل اخضرار، حتّى أرواحنا تشرّدت.

حبيبتي تعيش في بلاد الغرب، بلاد البرد، بلاد المطر بلا صلوات.

أنا رهين هنا في الشّرق، بلاد الشّمس، بلاد الجفاف والصّلوات عبر الأبواق كلّ ساعة.

حبيبتي تملك جواز عبور بين الغرب والشّرق وأنا رهين هنا في أرض بور.

أمسكتها من يدها بقوّة ودون انتظار التفاتها إليّ وصرخت : أريد أن أعانق في جيدك السّلّم من جديد. ويدي الأخرى نزعت الشّال الملتفّ حول جيدها ورمته فطار مع رياح الشّهيلي الحارقة. أدرتها نحوي، أمسكت جيدها كما كنت أمسكه سابقا، ولكنّي هذه المرّة صعدت السّلّم، صعدته نعم، هي فرصتي الأخيرة، إمّا العبور أو الغرق. لم تحرّك ساكنا، لم ترفض، لم تتكلّم، لم تتحرّك ولم تنبس ببنت شفة. فقط نفس الصّورة، ذقن مرفوع إلى السّماء.

تخطّيت الدّرجات هذه المرّة. لا مجال للتّراجع. لن أنتظر المهلة. هاهي أمامي كما كانت دوما. اقتربت منها، دفنت بقاياي في جيدها. سمعت تنهيداتها. صعدت وهاهي زخّات المطر تنزل مدرارا على محيّاها الخجول، بلا صلوات، بلا مهلة، بلا هدنة.

جدتي و«هدرة» الانتخابات

محمد الصالح مجيد

رحم الله جدّتي التي لم تدخل المدرسة ففازت فوزا عظيما.. شاركت في كلّ الانتخابات الصوريّة التي جرت زمن حكم "بورقْيبة"...هكذا حدّثتني وهي تكشف عن فرحها وسعادتها بابتسامة عريضة"الله ينصر بورقْيبة"..

هكذا كانت تردّد دائما .... وكأنّ القدر رسم لها ألّا تعرف الجنرال الذي اطاح ببورقيبة لأنها عاشت سنوات حكم "بن علي" في شبه غيبوبة...

يوم الانتخابات -هكذا قالت وهي لا تكذب في العادة- كانت ترتدي أجمل ملابسها :"حُولي" جديد لا تقربه إلا في المناسبات و"بخنوق"ابيض تحرص على استوائه رغم ظهرها المقوس فتراها في صراع لا ينتهي معه.. تجري الانتخابات في "الروضة"الاسم الذي ظل عالقا بمدرسة "الحاج عمار" قرب "عين الكوليج" بقرية تبلبو ...المسافة الفاصلة بين مركز الانتخابات والمنزل بعض خطوات.. كانت تمشيها غير مسرعة لتجد اكبر أبنائها "الحاج علي"-رحمه الله في انتظارها...يمسك بيدها ويسقط فيها بعض القطع النقدية ويجلسها على الكرسي...سمعتها تحدّث ابنة عمها "مْني" بافتخار عن مشاركتها في صنع تاريخ تونس بصوتها الذي كان ينتظره بورقيبة ليضيف إلى شرعيته مشروعيّة

-يسلّم ولدي "علي" دْرَى يخلّيني نتعب وإلا نشقْى!!!؟...جابلي كرسي واعطاني الفلوس وهز هاك الورقة... دوب ما قعدت.. جابها...شدني من يدي ووصلني للباب الله يعطيه ما يتمنى وربي يخليه لذريريتَه..حكاية ساهلة ماهلة يا "مْنِي" تدخلي مِنُه تخرجي منُّهْ"...

نعم تزيّنت جدّتي للانتخابات وهي التي لا تتزيّن في العادة،و دخلت المكتب اكثر من مرّة وادلت بصوتها وفرح "بورقْيبة" ساكن قرطاج لأنّ الحاجة خديجة بت البشير الذهيبي ساكنة قرية تبلبو أعطته صوتها...ولم تنتم إلى شرذمة المعارضة !!ولولا صوت جدّتي التي لم تدخل المدرسة لما صدرت مجلة الأحوال الشخصية ولما بنى بورقْيبة المدارس...لقد ظلّ صوتها شاهدا على زمن بورقيبة زمن مشاركة كل الفئات من مختلف الأعمار في مبايعة الزعيم الذي قهر فرنسا...

ماتت جدتي وماتت معها انتخابات بورقْيبة وتحوّلت "روضة الانتخابات إلى كوم من حجارة متناثرة لكنّ مساهمتها بصوتها في بناء الدولة لن تمحوه الأيام!!!ولن تنكره إلا المعارضة المتآمرة مع العدوّ الخارجي!! ..وما أريده الآن وانا ارتّب الأوراق واقلّب تعاقب الأيام هو ان تنام هانئة مطمئنّة على البلاد التي لا تعرف منها إلا حدود قريتها الصغيرة ... لأنّ الانتخابات مازالت متواصلة كما ارادها الزعيم الذي احبّته رغم انّها لم تعرف المنستير وكما قالت لابنة عمها التي لم تساهم في بناء الدولة بصوتها " حكاية ساهلة ماهلة..تدخل مِنُه..تخرج مِنُّه"...

دندنات في بحر الجفاف

سهام مصطفى الشريف

بطيئة جدّا
تلك الثّواني التي تلتحف اللّظي
وتترك على جدار قلبي الذُّبَ
كفيفةٌ جدّا
تلك القلوب التي تكسوها النّجوم
وعند الغروب تشرب من أقداح الغضبِ
ثقيلةٌ جدّا تلك المنفضة
تزيل الغبار على رفوفَ رحل أهلها
وأصابها الكرب
حزينة جدّا بعض حروفي
لفحها القرّ واختفت بين طيّات الكتب
سميكةٌ جدّا
كلّ الأوتار التي لم تختر عازفها
سقمت ألحانُها وغاب "سلفاجها"
وكلّ الطّرب
قميئةٌ جدّا
كلّ الورود التي تصلّبت عروقها
وإن أنت قطفتها قطفت حزمة من حطب
ثقيلةٌ جدّا خطواتي
تستيقظ على صوت الدّروب
تسأل الأنهار عن مجراها
تتخبّل خطواتي
وتظلّ ترقب الأنهار عن كثب

آخر هبّاط آل حمرون

نصرالعماري

اهلكهُ الحرّ، كان غارقا في عرقه وفي التّفكير. لماذا اختار جدّه، وجدّ جدّه، هذا المكان بالذات؟

" وادى شيخ المعيز ".

هل ضاقت عليه ارض الله بما رحبت؟...

مكان قفر، لا يُنبت غير الحجارة .

بعض الباحثين الهواة في الرّبط بين التاريخ والجغرافيا اخبروه ان جدّه كان مُعاديا، للباي ورفض مصادقته على الرّجوع في وعده لابن اخيه بولاية العهد، بعد ان انجبت زوجتة الجديدة بعد يأس من القديمة وطول انتظار . لذلك نفاه الى هذه المنطقة الجبلية..

ما دخل جدّه في الباي، يلد او يبقى عقيما .؟

هو لا يُصدّق هذه التّرهات ..الباي حرّ، يَعِدُ متى يشاء ومن يشاء، ويَرجَعُ في وعدهِ متى يُريد ...

لكن احد الشّيوخ اخبره ان جدّه كان ثريا، فلاحا كبيرا، من مُربّي الماعز، اختار هذا المكان الوعر مكانا مناسبا لشياهه ...

تساءل اكثر من مرّة، اين هذه الثّروة وقطعان الماعز ؟

فما يعلمه من والده انه فقير ابن فقير ابن فقير . نزح الى هذه المدينة بحثا عن لقمة العيش ،فلم يجد لها سبيلا غير ان يكون حمّالا...

لكن احد زملائه اخبره حين كانا يقومان بإنزال أكياس الدّقيق وترصيفها في مخازن مخبزة المطماطي ان احد بايات تونس سلّط امحاله على الرّعية لجمع المجبى . وان الصّبايحية عاثوا في الارض فسادا . كانوا يأخذون كل شيء من الاهالي، بل ان "فراريج الدجاج" لم تسلم، فهل سيتركون المواشي وقطعان الماعز؟ ...

الحرّ شديد، اليوم استهلك ثلاث قوارير من ماء" برقو" المُبرد لم يقتنيها من حرّ ماله، بل كان يتطوّع بها في كل مرّة زميل دراسة قديم، يعترض طريقه بالصّدفة فيسلم عليه ويذكّره بايام

المدرسة، فيقتني له قارورة ماء ويدعو له بالقوّة والصّبر ...

وماذا يفعل لسعده؟ هم نجحوا وهو فشل في نيل شهادة السيزيام.

ومن يومها يشتغل حمّالا، او بالأحرى "هباطا للشكائر" أكياس السّميد او أكياس الأسمنت...

اما أكياس السّميد فلم تعد في متناوله.

لقد استأثر بإنزال البضاعة سواق الشّاحنات ومساعديهم .

لم يبق له الا أكياس الأسمنت . لكنه خائف كل الخوف ان يتجهّز اصحاب مصارف بيع مواد البناء بهذه الآلة العجيبة ذات الاذرع، ترفع وتُنزل البضائع بكل يُسر ...

الكلّ يُفكر في الاستثمار في الجهد والوقت ... الا هو لا يشغل فكره الا شيء واحد ،ثروة جدّه اين ذهبت ؟

ايكون الباي حقيقة اغتصبها من " أل حمرون" . وبذلك كتبت عليهم الفاقة الابدية. ام هم فقراء بالوراثة ؟...

كان جالسا في مقهى عمّار، التى لم تعد على ملك عمّار .

العرق ينضح من كامل جسمه .طلب كأس شاي احمر من النّادل باعلى صوته واضاف: ضع فيه النّعناع يا قهواجي، احب الشاي الاحمر المنعنع .

" هذا النّادل نذل لا يريد وضع قطفة كبيرة من النّعناع في الكأس"، اسرّها في نفسه وتبسّم. تذكّر ان في المرّة الفارطة احضر له "ولد دخينو" باقة النّعناع باكملها مع كاس الشّاي وقال له:" يبدو انك تحبّ النّعناع بالشاي لا الشّاي بالنّعناع".

كان يتفرّس في وجوه زملائه "الخدّامة" تساءل لماذا يُطلقون على الواحد منهم " خدّام حزام "

لا يدري، لعلّه من كثرة شدّ الحزام على بطونهم الخاوية . ثم مدّ يده ليتفقّد حزام سراويله الجينز، واحكم شدّ السّيْر الجلدي على خصره النّحيل الى آخر ثقب فيه ...ادخل يده الى جيب سترته واخرج ماتبقى من اجرة اليوم ،خمس قطع ذات الدينار الواحد. تفرّس فيها مليّا واعادها الى جيبه ...

كاد ظهره يتسلّخ من اكياس الاسمنت لقد انزل اليوم من شاحنة "اولاد بالرّبيش" ثلاث مائة كيسا بمفرده. كان الاسمنت ساخنا والجو ملتهبا، لكنه اصرّ على انزالها بمفرده ليظفر بالاجرة كاملة . يُريد شراء تبّان بحر وقبعة ونظارات شمسية .لا يهمّ وان كانت مقلّدة ... جذب الكيس النيلوني من جانبه تفقد مشترياته اخذ النظارات ووضعها على عينيه ثم نزعها سريعا وارجعها الى الكيس . هنا ليس من اللائق ان يضع "مبروك آل حمرون الهباط" نظارات سوداء ... يتبع

جماليات التلقي والإعلام الرياضي :
«كرة القدم نموذجا»

د. نوفل حنفي

كثيرًا ما أتفاعل مع النصوص النقدية الهامة التي يكتبها الصديق صلاح الدين الدريدي على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يتطرق فيها إلى مشاكل الإعلام التونسي الذي لا يرغب في التفاعل مع ما يقوله خبراء الإعلام. كما يتناول كيف أن المنتج الإعلامي لا يستجيب لشروط النفاذ والمقبولية ومتعة المشاهدة، سواء من حيث الشكل أو المضمون، مشيرًا إلى أهمية اعتناء الإعلام، وخاصة الإعلام الرياضي، بـ»جماليات التلقي» l'esthétique de la réception.

ما المقصود بجماليات التلقي؟ يبدو مفهوم «جماليات التلقي» في علاقته بقطاع الإعلام مفهومًا غامضًا. يتعلق هذا الغموض بالطريقة التي يتم بها بناء معنى المعلومات وإدراكها، وكيف يمكن أن يتغير تبعًا لعوامل سياقية وتفسيرية مختلفة.

ويعود غموض المفهوم إلى المستويات التالية :

1.الازدواجية بين نية المرسلين (l'Intention des Émetteurs) وتفسير المتلقين(l'Interprétation des Récepteurs)

تسلط جماليات التلقي الضوء على التوتر القائم بين نية المرسل للمعلومات (سواء كانت شركة، وسيلة إعلامية، أو مؤسسة) وبين التفسير الذي يقوم به المتلقي(1). يصمم المرسلون استراتيجياتهم الإعلامية بناءً على أهداف محددة، بينما يقوم المتلقون بتفسير هذه المعلومات من خلال منظور تجاربهم وتوقعاتهم الشخصية. يظهر الغموض في حالة عدم توافق نية المرسلين مع تفسيرات المتلقين. في هذه الحالة، يمكن أن ينحرف معنى المعلومات أو يتحول، مما يؤدي إلى تفسيرات غير متوقعة أو متباينة مقارنةً بالأهداف الاستراتيجية، وهو ما قد تعجز عن توقعه أغلب المؤسسات الإعلامية.

2.أفق التوقع وتطور السياقات:

يصف أفق التوقع تلك التوقعات المسبقة للمتلقين (2) التي تتشكل من خلال تجاربهم السابقة والسياق الاجتماعي والثقافي. يكمن التحدي في تصميم الرسائل الإعلامية بحيث تأخذ هذه الآفاق بعين الاعتبار. يزداد الغموض عندما تتغير توقعات المتلقين استجابةً لأحداث جديدة أو تحولات اجتماعية وثقافية. وإذا فشلت استراتيجية المعلومات في التكيف مع هذه التغيرات، فقد تجد نفسها غير متوافقة مع التوقعات الحالية للجمهور، مما قد يؤدي إلى تشويه استقبال الرسالة الاعلامية.

يصعب تجاهل استمرار غموض المفهوم (3) لولا ضرورة الإيجاز وأهمية تذليل هذه الصعوبات النظرية. ويتطلب هذا الغموض اتباع منهجية مرنة وديناميكية وقابلة للتكيف في تصميم استراتيجيات الإعلام والاتصال، بحيث تكون قادرة على التفاعل مع تنوع التفسيرات وتعديل الرسائل وفقًا للسياقات المتغيرة. ولكن قبل ذلك، لابد من شرح أصل المفهوم وخصائصه الرئيسية في علاقة بقطاع الإعلام.

جماليات التلقي هي نظرية أدبية ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين، خاصةً من خلال أعمال هانز روبرت ياوس (Hans Robert Jauss) ومعاصريه. تركز هذه النظرية على الطريقة التي تُستقبل بها الأعمال الأدبية وتُفسر من قبل القراء، وكيف تؤثر هذه العمليات في فهم النصوص ومعانيها. تندرج جماليات التلقي ضمن تقليد أوسع من التأمل في تفسير وتلقي الأعمال الأدبية، وقد نشأ هذا التقليد في أوائل القرن العشرين مع النقد الشكلي والهرمنيوطيقا (4)، ويُمثل هذا التيار استجابة نقدية للمناهج الشكلية والبنيوية التي كانت تركز بشكل أساسي على النص نفسه، بمعزل عن التفاعلات مع القراء.

لقد قام «هانز روبرت ياوس» بصياغة المفاهيم الأساسية لجماليات التلقي، حيث قدم من خلال أعماله مفاهيم مثل «أفق التوقع» والدور الفاعل للقارئ في بناء المعنى. اعتبر «ياوس» أن معنى النص ليس ثابتًا، بل يتطور بناءً على السياقات التاريخية وتوقعات القراء. يُعرّف «هانز روبرت ياوس» جماليات التلقي على أنها منهجية تضع المتلقي في مركز عملية خلق معنى العمل الأدبي، مشيرًا إلى أن تلقي العمل الأدبي يتأثر بتوقعات وتجارب القراء، والتي تختلف باختلاف الزمن والسياق. وهكذا، فإن معنى العمل الأدبي أو الإعلامي لا يُحدد بشكل جوهري من قبل المؤلف، بل يتم إنشاؤه من خلال التفاعل بين النص والمتلقي. تبرز هذه المقاربة الدور الفاعل للمتلقي في عملية التفسير.

في هذا السياق، يمكن التطرق إلى بعض المفاهيم الأساسية مثل «بناء المعنى» (La Construction du Sens)، «أفق التوقع» (Horizon d'attente)، و»الاستقبال الديناميكي وتطور المعنى» (Réception Dynamique et Évolution du Sens). هذه المفاهيم تعتبر خصبة ويمكن أن يستفيد منها الإعلام الرياضي في تونس والعالم العربي.

ما هي علاقة جماليات التلقي باستراتيجية الإعلام الرياضي «كرة القدم نموذجًا»؟

إذا أراد الإعلام أن يطبق مبادئ جماليات التلقي على الاستراتيجية الإعلامية الرياضية التي تركز خصوصًا على كرة القدم، فعليه أن يفهم كيفية تأثير مبادئ جماليات التلقي على الطريقة التي تُستقبل وتُفسر بها المعلومات الرياضية من قبل المشاهدين. كيف ذلك؟

ا .المبادئ الفلسفية لجمالية التلقي:

1 .التفاعل النشط للمتلقي

ليس الإنتاج الإعلامي الرياضي مجرد إنتاج جاهز يكتفي المتلقي السلبي باستهلاكه بشكل غير فعّال، بل هو مسار تراكمي يُبنى فيه المعنى الإعلامي (5) بشكل متواصل مثل تغطيات وتحليلات كرة القدم، من خلال التفاعل بين المحتوى والمشاهدين. تؤثر ردود فعل وتفسيرات المشاهدين على الطريقة التي يُنظر بها إلى المنتج الإعلامي، وبالتالي يجب أن تأخذ الاستراتيجيات الإعلامية لكرة القدم في اعتبارها هذه المشاركة النشطة من خلال تعديل السرديات الرياضية لتتناسب مع التوقعات والتجارب ووجهات النظر الثقافية الرياضية للجمهور وقد يتضمن ذلك مزيدًا من التفاعل وتخصيص المحتوى (la personnalisation du contenu) لتعزيز الانخراط الجماهيري الواسع.

أفق التوقعات:

أفق التوقعات هو مفهوم أساسي يشير إلى التوقعات التي يحملها الجمهور عند استقباله لمعلومة مرتبطة بكرة القدم، والتي عادةً ما تكون مبنية على التجارب السابقة والمعايير الثقافية المشتركة (6). يجب على محترفي الصحافة الرياضية «كرة القدم» تعديل استراتيجياتهم بناءً على هذه التوقعات من أجل حسن التقاط اهتمام الجمهور، بحيث يمكنهم تأكيد أو مفاجأة أو تحدي هذه التوقعات لإثارة استجابة عاطفية أو معرفية. تتأثر توقعات مشجعي كرة القدم بتجاربهم السابقة ومعرفتهم بالرياضة، وتشكل كيفية استقبالهم لوسائل الإعلام الرياضية. لذلك، يجب أن تتماشى الاستراتيجيات مع هذه التوقعات لضمان فعاليتها.

3.سيولة المعنى:

تطور معنى المحتوى الرياضي، مثل مباريات كرة القدم وتحليلاتها، مع مرور الوقت والتغيرات في السياقات، مما يعني ضرورة مرونة الاستراتيجيات الإعلامية وانفتاحها لتتكيف مع التغيرات في تصورات وتوقعات المشاهدين. إن معنى المعلومات الرياضية هو موضوع تفاوض متواصل بين النص أو البرنامج الرياضي المصور، والسياق الإعلامي، وتفسير الجمهور. هذا التفاعل الديناميكي يشير إلى أن المعنى الرياضي لكرة القدم وغيرها من الأنشطة الرياضية ليس ثابتًا أبدًا، بل هو في حالة تدفق مستمر.

لذلك، يجب تصميم استراتيجيات إعلامية لكرة القدم تكون ديناميكية ومنفتحة لتشجيع هذا التفاوض الخلاق بين مكونات الإعلام الرياضي وقطاعات أخرى من الإعلام. يمكن استخدام سرديات مفتوحة لتفسيرات متعددة مما يسمح بمزيد من الانخراط في ممارسة الرياضة وتحفيز النقاشات حول الأحداث الرياضية. وهذا يعني تدريب الصحفيين على إعادة النظر في المحتويات الرياضية أو إعادة تفسيرها في حملات جديدة للحفاظ على أهميتها وتأثيرها، مع إدراج السياق الاجتماعي والثقافي في كيفية استقبال وتفسير المعلومات الرياضية من قبل الجمهور. بهذه الطريقة، يمكن للتغطية الإعلامية الرياضية المتوازنة أن تعكس أو تتحدى الاتجاهات الاجتماعية والثقافية المعاصرة.

II. تحديات المنتج الإعلامي و كرة القدم:

1. متطلبات الوصول إلى المعلومة :

يمكن للمنتجين جذب جمهور متنوع من خلال تقديم خيارات بث متعددة ودمج ميزات مريحة، بدءًا من عشاق كرة القدم إلى المشاهدين العرضيين. في هذا السياق، تزيد المنصات المتعددة مثل تطبيقات البث المباشر، والمواقع الإلكترونية، ووسائل التواصل الاجتماعي، من فرص وصول المعلومات إلى عدد أكبر من المشاهدين (8).

تتسبب العقبات التكنولوجية، مثل الواجهات المعقدة أو المتطلبات التقنية العالية، في استبعاد قطاعات هامة من الجمهور. لذا، تقتضي سهولة الوصول إلى المعلومات الرياضية أن يتمكن المشاهدون، بغض النظر عن مستوى مهاراتهم التكنولوجية، من التفاعل مع المحتوى. كيف يمكن تحقيق ذلك؟ من خلال تبسيط عمليات التسجيل، وتوفير تطبيقات متوافقة مع مختلف الأجهزة، وضمان تنقل سلس وسهل داخل المنصات، يمكن للمنتجين تقليل العقبات التي قد تعيق مشاركة الجمهور وتعاطيه مع المحتوى.

2. المقبولية :

يجب أن يكون المحتوى الإعلامي مقبولًا وفقًا للمعايير الثقافية المتنوعة وتوقعات مشجعي كرة القدم، لأن نقص المقبولية عادة ما يكون مرتبطًا بالتمثيل المتحيز أو التغطية غير المتوازنة. الحقيقة أن مقبولية المحتوى الإعلامي لكرة القدم أمر بالغ الأهمية للحفاظ على ثقة المشاهدين واهتمامهم. فمشجعي كرة القدم ينتمون إلى خلفيات ثقافية واجتماعية وجهوية وسياسية متنوعة، ولديهم توقعات محددة بشأن كيفية تمثيل رياضتهم المفضلة، كرة القدم.

إذا لم يحترم المحتوى الإعلامي هذه التوقعات أو انتهك بعض الانتماءات الثقافية أو الاجتماعية، فقد يؤدي ذلك إلى غضب الجمهور، أو انتقادات علنية حادة قد تؤدي إلى مقاطعات. لذا، من الضروري أن تتسم الاستراتيجيات الإعلامية بالمرونة والحساسية تجاه تنوع الجماهير وتوقعاتهم لضمان قبول المحتوى وتعزيز التفاعل الإيجابي.

3. متعة المشاهدة:

يقتضي تحقيق أقصى درجات المتعة في مشاهدة رياضة كرة القدم أن يعمل المنتج الإعلامي على تقديم تغطية جذابة وشيقة لمباريات كرة القدم، تجمع بين التحليلات العميقة والعروض الديناميكية. يبدو أنه من الصعب ضمان متعة مشاهدة تجذب انتباه المشاهد وإقباله على البرامج الرياضية في بيئة إعلامية مشبعة بالخيارات الترفيهية المتعددة، مما يبرز أهمية المحتوى الذي يقدم تجربة بصرية ومعرفية غنية. فالمشاهدون يكونون أكثر ميلًا لقناة أو منصة ترفيهية تقدم لهم محتوى يجمع بين المتعة والفائدة بطريقة جذابة، ويمكن أن يترجم ذلك إلى زيادة في ولاء الجمهور، وارتفاع في عدد الاشتراكات، وحتى فرص أكبر لتحقيق إيرادات مالية، مثل زيادة عائدات الإعلانات. كيف نصل إلى ذلك؟

-الكفاءة البصرية:

نعني بذلك النجاح في استخدام كاميرات عالية الدقة، وزوايا تصوير مبتكرة، وتقنيات مثل «الواقع المعزز» لخلق تجربة مشاهدة غامرة. يجب أن تكون الرسوم البيانية وإعادة اللقطات واضحة، ومفيدة، ومتكاملة بطريقة لا تعيق التدفق الطبيعي للمباراة. على سبيل المثال، يمكن أن تجعل الرسوم المتحركة التي توضح الاستراتيجيات وحركات اللاعبين التحليل أكثر جذبًا وإثارة.

-السرد الديناميكي:

يلعب المعلقون والمحللون دورًا حاسمًا في كيفية فهم وتعليق مباريات كرة القدم من خلال تطوير طريقة سردهم للمباراة والاعتماد على رواية حية تضيف روحًا مميزة وقيمة جمالية ومعرفية لتحليل المباراة من حيث البعد الاستراتيجي أو تفسير الأحداث الرياضية في الوقت الفعلي. يمكن أن تكون اللحظات الرئيسية في المباراة، مثل الأهداف أو الأحداث الحاسمة، أكثر تأثيرًا من خلال رواية حيوية تلتقط عاطفة اللحظة.

-تشخيص التجربة:

يمكن الاعتماد على خيارات دقيقة، مثل اختيار زوايا الكاميرا أو الوصول إلى إحصائيات محددة في الوقت الحقيقي، مما يعزز التفاعل مع المشاهدين. كما أن دمج المنصات التفاعلية يمكن أن يضيف ديناميكية كبيرة على تجربة المشاهدين من خلال المشاركة في استطلاعات الرأي المباشرة أو تبادل آرائهم على وسائل التواصل الاجتماعي أثناء المباراة وبعدها. إن التغطية الإعلامية لا تقتصر على البث المباشر بل تمتد إلى فقرات وملخصات طريفة وجميلة، مما يساهم في تقديم وجهات نظر جديدة ويعمل على إثارة اهتمام الجمهور بالمباريات القادمة.

وهكذا، فإن الجمال الإعلامي لكرة القدم ليس جمالًا معطى يمكن للجميع تسجيله دون القدرة على التقاط وإعادة بث اللحظات الحاسمة في المباراة بطريقة مرئية لافتة. هنا تسهم الإعادات البطيئة، وزوايا الكاميرا المبتكرة، والتأثيرات البصرية مثل الرسوم البيانية في جعل تصرفات اللاعبين واللحظات المميزة في المباراة أكثر تأثيرًا على الذاكرة. كما يعتمد تحليل المباريات على التصورات الإحصائية والبيانات الأنيقة التي تحول البيانات الخام إلى شكل بصري جذاب وسهل الفهم.

يغذي الجمال الإعلامي للرياضة، الذي يعتمد على العديد من الطرق مثل الرسوم المتحركة الديناميكية وزوايا الكاميرا المبتكرة، تجربة بصرية غنية. ومع ذلك، فإن التفاعل بين هذا الجمال وتوقعات المشاهدين هو ما يبني معنى العرض الرياضي. كما تكشف جمالية التلقي أن معنى الحدث الرياضي ليس محصورًا في مركزية التقديم الإعلامي، بل يُخلق بالتعاون مع المشاهدين من خلال تفسيراتهم وتوقعاتهم.

.....

(1) Roland Barthes, Dans La Mort de l'Auteur, Essais critiques en 1968. ; Stanley Fish, Is There a Text in This Class? The Authority of Interpretive Communities, Harvard University Press, 1980.

(2) Hans Robert Jauss, Pour une esthétique de la réception, Éditions Gallimard. 1978.

(3) يتواصل الغموض في مستويات عديدة مثل البناء الديناميكي للمعنى وتأثير السياق الاجتماعي والثقافي...

(4) Wilhelm Dilthey, Introduction à la science de l'esprit, Teubner, 1883 ; Hans-Georg Gadamer, Vérité et Méthode, Mohr Siebeck,1960.

(5) Iser, W, The Act of Reading: A Theory of Aesthetic Response. Johns Hopkins University Press, 1978.

(6) Fish, S, Is There a Text in This Class? The Authority of Interpretive Communities. Harvard University Press,1980.

(7) Eco, Umberto. Lector in fabula. Bompiani, 1979.

(8) Deuze, M. Media Work. Polity Press,2007.